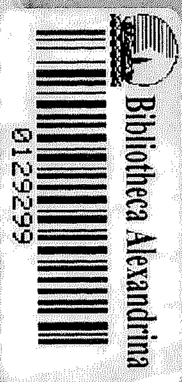
زيد بن علي

و مشروعية الثورة عند اهل البيت (عليهم السلام)

الشيخ نوري حاتم



الغدير



زيد بن علي

ومشروعية الثورة عند أهل البيت عليهم السلام



الشيخ نوري حاتم

زيد بن علي

ومشروعية الثورة عند أهل البيت عليهم السلام



أشرف على اعداد هذا الكتاب

مركز الغدير للدراسات الاسلامية

الطبعة الثانية

بيروت: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥ م



حارة حريك - شارع دكاش - بناية فضل الله ورضا - بلوك (ب) - الطابق الاول

ص.ب: ٥٠ - ٢٤ - خليوي ٦٤٤٦٦٢(٠٣)

بيروت - لبنان

مقدمة المركز

يسر مركز الغدير للدراسات الإسلامية أن يضيف إلى سلسلة بحوثه ودراساته هذه الدراسة ويقدّمها إلى قرّائه الكرام عن الشهيد زيد بن علي عليه السلام وثورته في وجه السلطة الأموية الغاشمة .

ورغم تعدد المؤلفات التي تناولت شخصية زيد وثورته بالدراسة والتحليل فقد جاءت دراسة المؤلّف الفاضل هذه ، جديدة في نتائجها ومعطياتها ، وذلك بفضل تمكنه من مصادر مادته العلمية ، ومنهجه العلمي في معالجة هذه المادة وتحليلها .

ويحمد المركز للمؤلّف أيضاً التزامه بخطه الفكري الذي يتوخّىٰ تعريف المسلمين بحقائق العقيدة الإسلامية ، وتاريخ رجالها ، ورموزها الرساليين ، واستجابته للملاحظات التي أبداها المركز على مشروع هذه الدراسة في تكوينه الأوّل . سائلاً الله تعالىٰ أن يوفقه للمزيد من العطاء العلمي النافع .

مركز الغدير للدراسات الإسلامية




بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم بقلم:

العلامة السيد جعفر مرتضىٰ العاملي

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ محمد وآله الطاهرين

لقد تعوّدنا من الكتّاب والباحثين في تأريخهم لحياة الشخصيات الفاعلة والمؤثرة في حياة الشعوب والأمم اعتمادهم طريقة ومنهج الدخول الىٰ حياة الأشخاص، من نافذة الاحداث، والظواهر، التي تعكس مزاياهم وخصائصهم أفراداً وشخصيات فذةً، ونادرة تستحق أن تكون موضع اعجابٍ وتقدير، ومن ثَمَّ أُسوة وقدوة، أو أن تكون ملفتة للنظر، ومثيرة للعجب والاستغراب، ومن ثَمَّ موضع تأمل، وفكرٍ وعبرة.

وإذا ما تجاوز فريقٌ منهم هٰذا المنحىٰ، فلا يتعدىٰ التأريخ لأحداث صنعتها تلك الشخصيات أو أثرت فيها، ويحاول تفسيرها وتحليلها من خلال بعض ما اكتشفه لها من عوامل وظروف، ثمّ ما عرفه لها من نتائج وآثار قريبة، وظاهرة في كثير من الأحيان.

ولم يكن ثَمَّ استثناء في مايرتبط بشخصية زيد بن علي زين العابدين، فلقد تعودنا من الكتاب والباحثين أيضاً معالجة حياته رضوان الله تعالىٰ عليه، من خلال مظاهر البطولة، والتضحية، والفداء التي تجلّت في شخصيته، مع التركيز علىٰ مالَهُ من خصائص ومزايا أخلاقية فاضلة، وصفات حميدة ونبيلة، تجلعه في موقع الشخصية النادرة والفذة، والمؤهلة لأن تكون أسوة وقدوة، ليكون رقماً أخر يضاف إلىٰ نماذج أخرىٰ فريدة ومتميزة حفل التاريخ بكثير منها عبر عصوره المختلفة.

وإذا ما أردنا أن نلتفت إلىٰ آثار هٰذا المنحنىٰ في معالجة حياة الاشخاص العظماء، فلسوف نكتشف أنّه قد ساهم ولايزال في ايجاد الظروف الملائمة لخلق ارتكاز عفوي في الوجدان العام، يتبلور في طموحات الناس وتوجهاتهم علىٰ صعيد الرفض، أو الانتماء إلىٰ الاشخاص، وتبنّي حركتهم، وأسلوبهم، ومواقفهم بالاضافة إلىٰ التخلّي عن ... أو التحلّي بالخصائص أو المزايا التي يملكونها، وغير ذلك من أمور، ولكن علىٰ اساسٍ فردي، يرتبط بالشخصية ذاتها، وبمالها من قيود، وحدود، تؤكد فيه كيانها المنفصل والمستقل والمحدود بحدود الزمان والمكان وغير ذلك.

ونحن، وإن كنّا نعتقد أن دراسة أيّة شخصية لابّد أن تبدأ من خلال دراسة مالها من خصائص، ومزايا فردية، وكذلك من خلال فهم الأحداث والظواهر، التي تعاملت معها وأثّرت أو تتأثر بها؛ لأنّ ذلك أمر حيوي وأساسي، ويشكّل حجر الزواية لأي دراسة يمكن أن تكون مفيدة وواقعية، إلاّ أنّ من الواضح أنّ ذلك ليس هو كل شيء، ولاهو النقطة الاخيرة التي

ينتهي البحث بها أو إليها .

بل لابّد للدراسة، لكي تكون موفقة، وواقعية، وكافية، من أن تقوم علىٰ أساس نظرة شمولية، ومستوعبة، ترىٰ في الانسان مرآة تعكس كل آفاق الحياة ورحابها، وتجمع في حجمها الصغير كل هيكلية الوجود المترابطة في عين تشتتها، والمجتمعة في عين تفرقها ... وهي الصورة التي يرسمها لنا القول المأثور:

وتحسب أنك جرم صغير   وفيك انطوىٰ العالم الأكبرُ

ولابدع في ذلك؛ فهٰذه العين تستوعب الاشياء المختلفة، وتحتفظ بها، بمالها من خصائص ومزايا، متباينة في ظاهر الأمر، دون أن تستأثر بواحدٍ منها دون الآخر، ولا أن تتصرف في أيٍ منها علىٰ حساب غيره.

وواضح أن ذلك الذي ذكرناه لايختص بالشخصية التي تجسدت فيها خصائص ومزايا ايجابية، وخيِّرة، وانما هو ينسحب علىٰ غيرها أيضاً، مادام هٰذا السلب إنما يأتي في موضع ذلك الايجاب، وهٰذا النفي يكون لعين ذلك الاثبات.

وهكذا، فإن استيعاب وشمولية النظرة في دراسة شخصية زيد يصبح أمراً لابد منه، ولاغنىٰ عنه، مادام أن شخصيتَهُ نفسَها تستقطب في ارتباطاتها وتفاعلاتها ـ كما في اهدافها، وطموحاتها ـ كل تجليات الحياة، ومظاهر الوجود في الكون الأرحب، الذي أراد الله سبحانه أن يسخره لهٰذا الانسان ليتخذ منه وسائله وادواته، التي تمكنه من أن يبني حياته الهادفة زاخرة بالخير والعطاء، وعامرة بالهدىٰ والبركات.

فشخصية زيد بن علي السجاد ليس لها حدود يمكن أن تفصلها عما يحيط بها، وانما هي انطلاقة النور الغامر، ووجيب حركة الكون العامر، تغمر الكون بالعطاء، وتمدّه بالهدىٰ، وتفيض عليه الوجود. ذلك النور، الذي يستغرق كل شيء، ويستغرق فيه كل شيء، ويثيرهُ، ويتفاعل معه، في حيوية وبهاء، وفي جنان وصفاء.

ان شخصية زيد بن علي، الذي هو قبس من جده الحسين، ومشكاة من والده السجاد، لابد أن تدرس علىٰ اساس انها ومضة النور الالهي الدافق، الذي تشرق به حنايا الوجود لتثير منه كوامنه، ويختزن في داخله النموذج الحي للتجربة الواقعية للاسلام الصافي، بكل مفاهيمه، وتعاليمه، واهدافه ومراميه، في نطاق الارادة الالٰهية، التي تؤهل هٰذا الانسان لحمل الأمانة، بعد أن يصبح نموذجاً للانسان الذي يملك خصائصه الانسانية الحقيقية ليعيش انسانيته في نطاق الامتداد الواقعي للحياة الحقيقية والباقية، بعد تخليصه من كل مظاهر الزيف، والتمويه، وازاحة الحجب، وازالة كل الموانع والعراقيل، التي تعترض سبيل تفاعله مع الحياة بصورة واقعية وحقيقية، وبكل مايملك من طاقات ووسائل ﴿وإن الدارَ الآخرةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ﴾ ومن هنا فإننا إذا أردنا تقييم حركة زيد في خروجه فيٰ وجه الحكم الأموي الظالم والمنحرف فلابد أن نسجل أنه فيٰ حين يصح أن نطلق علىٰ بعض الحركات اسم (ثورة) فإن حركة زيد هٰذه تأبىٰ إباءً شديداً عن أن تدخل في نطاق هٰذه الكلمة، كلمة (ثورة) أو أن تخضع لمعاييرها.

وانما التعبير الأدق الذي يستطيع أن يستوعب معانيها ودلالاتها،

بملاحظة مالها من بعد إيماني عميق، كان له التأثير المباشر والفاعل علىٰ مالها من مرامٍ واهداف ـ إن التعبير الادق هو أنها «حركة جهادية» تتصل بالله، وتنتهي اليه، وتنطلق من وعي عميق، تجذّر في ضمير حيٍّ، لإنسان عرف معنىٰ الحرية والعبودية، ومارسهما، فكراً، وإيماناً، وسلوكاً، وموقفاً، حينما تحول هٰذا الوعي إلىٰ طاقة، تفجرت بركاناً، يحرق كل مظاهر الزيف والتمويه، ويلتهم كل زبارج الباطل وبهارجه، ليحولها الىٰ رماد أسود تذروه الرياح.

نعم، إنها الحرية الكاملة، التي تحفظه من أن يستذله عاتٍ أو جبار، وأن تقهره رغبة، أو شهوة ... الىٰ جانبها العبودية لله، ولله وحده لاشريك له، الخضوع له والفناء فيه.

فحركة زيد ليست ثورة، وإنما هي جهاد، وشتان مابين الجهاد والثورة؛ فان بينهما فروقاً كبيرة وكثيرة، مادام أن الجهاد، وليس الثورة، باباً من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه دون كل من سواهم. ولابد فيه بعد احراز الركائز الاساسية للايمان واليقين من أن ينطلق من ساحة الرضا الالهي، الىٰ آفاقه الرحبة، التي لايرىٰ فيها سوىٰ الله سبحانه والله وحده، ولتكون الإرادة الالٰهية هي التي تهيمن علىٰ كل حركة، وتفرض نفسها في كل موقف وتتجسد علىٰ كل صعيد ... وأنىٰ للثورة أن تكون كذلك، لافي أهدافها، ودوافعها، ولافي أيٍّ من مراحلها المختلفة، أو اسلوب عملها، وسائر مايرتبط بها أو ينتهي اليها.

وهٰذا موضوع مهم ودقيق، لابد من التوفر عليه، تنقيحاً، وتوضيحاً،

في فرصة أخرىٰ، نسأل الله سبحانه أن يتيحها لنا بمنه وكرمه إن شاء الله تعالىٰ.

أما بالنسبة لهٰذا الكتاب الذي بين يدي القارئ، والذي تكفل بمعالجة حياة زيد الشهيد رضوان الله تعالىٰ عليه، من خلال الاحداث التي عايشها أو عالجها وكان له تأثير مباشر فيها فاننا لانريد أن ندعي، بملاحظة ما قدمناه، إن المؤلف الاخ حجة الاسلام الشيخ نوري حاتم قد استوعب فيه كل الظروف، وجميع مايمكن أن يمس حياة زيد الشهيد، أو قد تؤثر في حركته الجهادية، فلربما يكون قد فاته شيء من هٰذا أو من ذاك، أو منهما معاً، وذلك امرٌ طبيعي بالنسبة لأمر واسع ومترامي الاطراف، ومتشعب ومتداخل مع كثير من الحالات والظروف والمؤثرات القريبة والبعيدة علىٰ حد سواء.

كما أننا لانريد أن نقول: إننا نوافق المؤلف في كل ما أوردهُ فيه، حرفاً فحرفاً، وكلمة فكلمة، فقد نختلف معه في الرأي أحياناً في بعض النقاط التي ليست اساسية في البحث، ولاضير في ذلك ما دمنا نرىٰ أن له كل الحق وملء الحرية، كما هو الحال بالنسبة لكل مؤلف وباحث، في أن يقدِّم نظرياته واستنتاجاته من دون أن يتاثر بموافقة هٰذا، أو مخالفة ذاك. وذلك هو مايؤكد قيمة الكتاب، ويستدعي تقديرنا واحترامنا للآراء التي وردت فيه ... ولكنا نقول: إن النجاح كل النجاح إنما يتجلىٰ حين يرسم الانسان لنفسه هدفاً، أو خطة، ثم تؤتي جهودهُ ثمارَها بالوصول إلىٰ ذلك الهدف، وبالعمل علىٰ وفق تلك الخطة المرسومة، ولأجل ذلك، فإن هٰذا الكتاب لابد أن يعتبر محاولة ناجحة، مادام أنها لم تقصر عن الوفاء بالمهمة، وتحقيق

الغاية، والهدف، الذي بذلت من أجله المحاولة وعلىٰ أساسه كان العمل.

هٰذا، بالإضافة إلىٰ أنه يقدم مادة تكاد تكون مستوعبةً للاحداث التي احتفظ لنا بها التاريخ حول شخصية زيد، وحركته الجهادية المباركة، مع تحليل واعٍ وهادف، يتناسب مع المستوىٰ الذي لوحظ فىٰ الكتاب، ورسم العمل فيه علىٰ أساسه.

أما أسلوب الكتاب، فهو علىٰ العموم واضح، وهادئ، تتجلىٰ فيه لمحات جمالية ترتاح لها النفس، ويتطلبها الذوق، ولايرهق القارئ بتراكيب معقدة تستنفد طاقته، وتستأثر بتوجهاته، ولتؤثر، من ثمَّ، علىٰ مستوىٰ استفادته من المحتوىٰ الذي يراد له أن يصل اليه، ويحصل عليه.

فلمؤلف الكتاب حبنا ولجهده المشكور الذي بذله تقديرنا، ونسأل الله تعالىٰ له التوفيق والسداد.

والحمد لله وصلاته علىٰ عباده الذين اصطفىٰ.

جعفر مرتضىٰ العاملي

الثالث من شهر رمضان المبارك

سنة ١٤٠٨ هـ



المقدمة

هزّ الحكم الأموي بعد شهادة الامام الحسين عليه السلام في عام (٦١) هـ سلسلة ثورات شكلت تحديات حقيقية لوجوده السياسي، ومنها ثورة زيد بن علي (رض) التي قامت بذات الدور الرسالي المشرق، الذي مارسته ثورة الحسين عليه السلام.

واذا كانت ثورة زيد لم تنجح في اسقاط الحكم الاموي في ظرفها التاريخي، فهي بلاشك منحت الأمة روحاً جهادية، ونسفت حواجز الخوف في نفوس أبناءالأمة.

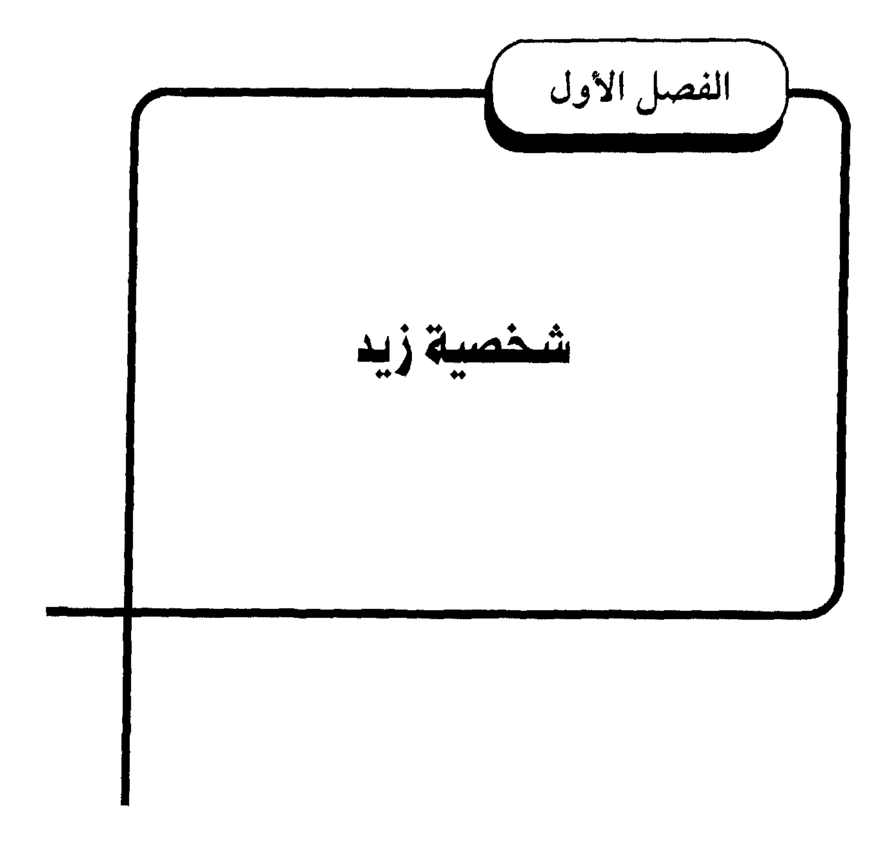
من هنا ينبغي دراسة هٰذه الثورة، ومعرفة ظرفها، وأسبابها وأحداثها، ونتائجها، وحيثُ إن العصر الذي عاش فيه زيد يشكل عنصراً ضرورياً في فهم الثورة، فلابد من دراسة الفترة التاريخية الواقعة بين عامي (٦١ـ ١٢٢) هـ، كما لابد من دراسة الملامح العامة لشخصية زيد، لكي تتوضح اسباب الثورة، وأتجاهها العام.

وبودي هنا أن أسجل شكري، وتقديرّي للعلاّمة السيد جعفر مرتضىٰ العاملي الذي تفضل بقراءة أصول الكتاب، وزاد تفضلاً حين كتب مقدمة لكتابنا هٰذا، فله الشكر علىٰ مابذل، وكثر الله أمثاله من العلماء العاملين.

نوري حاتم

١٣/ محرم الحرام/ ١٤٠٨

قم المقدسة


الفصل الأول
شخصية زيد



ولد زيد بن علي عليه السلام في المدينة المنورة. أبوه الامام علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام، وأمه من بلاد السند.

والكثير من المراجع والمصادر لم يثبت سنة ولادته، كما اختُلفَ في سنة شهادته. فقد أورد ابن الاثير في الكامل شهادته في أحداث عام (١٢٢ هـ)[١]، وكذلك الدينوري[٢] وابن الجوزي[٣] والطبري[٤]. وفئة من المؤرخين ذكروا أنه استشهد في عام (١٢١ هـ) ومنهم ابن الاثير في تاريخه، فبعد أن أثبت وفاته سنة (١٢٢ هـ)، كتب: «وقيل سنة وفاته عام (١٢١هـ)».

وأورده الشيخ الطوسي في جملة أصحاب الامام زين العابدين واصحاب الامامين الباقر والصادق عليهما السلام وكتب:

«زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام أبو الحسين، تابعي

---

(١) الكامل في التاريخ/ ج٥/ ص٢٤٢.

(٢) جهاد الشيعة/ ص٥٢.

(٣) تذكرة الخواص/ ص٣٠١.

(٤) تاريخ الأمم والملوك/ ج٨/ ص٢٧١.

قتل سنة احدىٰ وعشرين ومئة وله أثنتان واربعون سنة»[١].

أما الشيخ المفيد فإنه كتب في إرشاده:

«وكان مقتله يوم الاثنين لليلتين خلتا من صفر سنة عشرين ومئة وكان سنه يومئذ اثنتين واربعين سنة»[٢].

أما ابن عساكر في تاريخ دمشق فقد قال: «إن سنة ولادته (٧٨ هـ)[٣].

واذا كان الامر كذلك فإن سنة شهادته مرددة بين عام (١٢١ هـ) كما ذهب الشيخ وبعض المؤرخين، وبين عام (١٢٢هـ) كما ذهب ابن الأثير وغيره. وعلىٰ هٰذا الاساس يمكن تحديد سنة ولادته بين عام (٧٩ هـ) وبين عام (٨٠ هـ)، وذلك بقرينة أن عمره يوم شهادته بلغ الاثنتين والاربعين سنةً كما أشارَ المفيد والطوسي وغيرهما الىٰ ذلك.

عاش مع أبيه السجاد عليه السلام خمسة عشر عاماً أو يزيد، وبعد أستشهاد الامام السجاد عليه السلام عام (٩٥هـ) كفله أخوه الأكبر الامام الباقر عليه السلام، فهو ربيب الباقر عليه السلام، عاش في رحاب عطفه وحنانه بعد أستشهاد أبيه، واغترف العلم والتقوىٰ من نبعه الفياض.

ولقد توافرت لزيد مائدة أهل البيت السخية، فهو ابن هٰذا البيت الطاهر، فتح عينيه علىٰ ينابيع العلم والتقوىٰ، والقيم الخلقية الرفيعة، فقد اغترف من منهل ابيه الزاخر بالتقوىٰ والاخلاص والخشوع والعلم بالكتاب

---

(١) مجمع الرجال للقهبائي/ ج٣/ ٨٣.

(٢) الارشاد/ ص٢٦٩.

(٣) زيد بن الامام علي بن الحسين عليه السلام/ هامش ص١٢.

والشريعة، مدة خمسة عشر عاماً، ثم عاش في رحاب الامام الباقر عليه السلام تسعة عشر عاماً ينهل من علومه ومعارفه، حتىٰ بلغ الغاية في العلم والمعرفة، وكان (رض) يناقش ابناء الحسن (جعفر بن الحسن بن الحسن) ومن بعده (عبد الله بن الحسن بن الحسن) في أوقاف علي بن ابي طالب عليه السلام وكيلاً عن ابناء الحسين عليه السلام.

وكان زيد يطوف علىٰ بعض رؤساء المذاهب والتيارات الاخرىٰ، كواصل بن عطاء، لمناقشتهم في مسائل العلم، بعد أن استوعبها من مصدرها الاصيل، ويبيِّن لهم موقع أئمة اهل البيت ودورهم في حفظ الاسلام والامة.

وكان بليغاً فصيحاً الىٰ جانب علمه، فقد كتب هشام بن عبد الملك الىٰ يوسف بن عمر يصف زيداً:

«وقد قدم زيد بن علي أميرَ المؤمنين (يقصد نفسَهُ) في خصومة فرأىٰ (أي هشام) رجلاً جدِلاً لَسِنا حُوَّلاً قُلَّباً خليقاً بصَوْغِ الكلام وتمويهه، واجترار الرجال بحلاوة لسانه وكثرة مخارجه فىٰ حججه، ومايدلي به عند الخصام من العلوِّ علىٰ الخصم بالقوة المؤدِّية الىٰ الفلج»[1].

وكان زيد بن علي عابداً خاشعاً لله، تالياً كتابَهُ. فعن عاصم بن عبيد الله العمر قال:

«أنا أكبر منه رأيته بالمدينة وهو شاب يذكر الله عنده، فيُغشىٰ عليه حتىٰ

---

(١) انساب الاشراف / الجزء الثالث/ ص٢٣٨.

يقول القائل: مايرجع من الدنيا»[١].

وقال محمد بن أيوب الرافقي:

«كانت المرجئة وأهل النسك لايعدلون بزيد أحداً»[٢]. وعن محمد بن الفرات قال: «رأيت زيد بن علي وقد أثر السجود بوجهه أثراً خفيفاً»[٣].

وكان يصوم كل شهر ثلاثة أيام، وكل سنة ثلاثة أشهر، وكان يسمى حليف القرآن.

ويتحدث زيد عن نفسه لأبي قرة:

«والذي يعلم ماتحت وريد زيد بن علي أن زيد بن علي لم يهتك لله محرماً منذ عرف يمينه من شماله»[٤].

وبكلمة موجزة، كان زيد مثالاً للشخصيّة الاسلامية الملتزمة التي جمعت المعرفة الىٰ جانب العبادة، والخشوع، والتبتل والىٰ جانب الوعي السياسي، والاجتماعي.

لقد ضمَّ الامام الباقر ﷺ زيداً الىٰ أسرته بعد وفاة أبيه الامام زين العابدين ﷺ وكفله وغذاه بالعلم والحنان، ورعاه وهو يشق طريقه في خضم الحياة، وسط خضم التيارات الفكرية والموجات السياسية الصاخبة، حتىٰ كمل بناؤه الفكري والاخلاقي. وكانت علاقة زيد مع الامام

---

(١) مقاتل الطالبيين/ بإشراف وتقديم كاظم المظفر/ ص٨٧.

(٢)المصدر السابق/ ص٨٧.

(٣)المصدر السابق/ ص ٨٧.

(٤)زيد الشهيد/ ص٢٠.

الصادق عليه السلام علاقة متينة؛ فهو عم الصادق، ومن أترابه ومن خريج مدرسة أبيه الامام الباقر عليه السلام. وكان زيد يكن احتراماً عظيماً لابن اخيه الامام الصادق عليه السلام[1].

إن معالم شخصية زيد مستمدة من ملامح الشخصية المتميزة لأهل البيت وخطهم السياسي والعقائدي والاجتماعي، حيث سارَ في حياته طبق تلك المبادئ الربانية، والثورية حتىٰ في أصعب مراحل ثورته وذلك حين عرض عليه عبيد الكوفة المشاركة في الثورة فرفض ذلك احتراما لحق ساداتهم، كما رفض عرض نساء الكوفة المشاركة في الثورة[2] رغم ان بعضهنَّ قُمّن بمحاكمة والي الكوفة يوسف بن عمر امام الناس بعد شهادة زيد، وأثْبَتْنَ بطلان موقفه.

فالحديث عن شخصية زيد يعني الحديث عن أهل البيت عليهم السلام ودورهم في تربية المجتمع علىٰ القيم الثورية الاسلامية الاصيلة.

ولاشك أن معرفة شخصية الثائر لاتكفي لمعرفة اتجاه واهداف الثورة واهدافها، اذ لابد من دراسه عصر الثورة وأحداثها السياسية والتاريخية، والعسكرية، لأن ذلك يشكل هدفاً مستقلاً بذاته ضمن دراسة تأريخنا الاسلامي، ولانه الظرف الذي حدثت فيه الثورة من جة اخرىٰ.

---

(١) زيد الشهيد/ ص٢٣.

(٢) لعل ذلك بسبب ان العادة لم تجرِ علىٰ المرأة في حمل السيف، أو لانه بعدُ لم يستيقن من حاجته اليهن.



الفصل الثاني

الملامح العامة لعصر الثورة



لكل ثورة جذور تأريخية، وأسباب تتصل بالماضي القريب، ومن أجل دراسة ثورة زيد (رض) لابد من استعراض أهم الاحداث التأريخية التي برزت في النصف الثاني من القرن الهجري الاول، واكتشاف اتجاه الاحداث، وطبيعة الحكم، وموقف أئمة اهل البيت عليهم السلام من تلك الاحداث وذلك ضمن الفقرات التالية:

أولاً: طبيعة وخصائص الحكم الاموي.

ثانياً: ولادة ونشوء المذاهب الفكرية والسياسية.

اولاً: طبيعة الحكم الاموي وخصائصه

لقد استولىٰ معاوية بن أبي سفيان علىٰ السلطة عام (٤٠ هـ)، بعد أستشهاد الامام امير المؤمنين عليه السلام، وبعد اتفاقية الصلح التي أبرمها مع الامام الحسن بن علي عليه السلام، لأسباب فرضت علىٰ الامام موقف الصلح. ومنذ ذلك التاريخ دخل العالم الاسلامي ظرفا [illegible]

الاسرة الاموية ان تمسخ هويته الاسلامية، وانتهجت **أسلوباً منحرفاً في** عملية نقل السلطة، وفي التعامل مع الجماهير الاسلامية.

ويمكن دراسة معالم الحكم الاموي ضمن الفقرات التالية:

أ ـ طبيعة الحكم الاموي واتجاهه.

ب ـ الصراعات السياسية علىٰ السلطة.

ج ـ حقيقة الفتوحات العسكرية.

ألف ـ طبيعة الحكم الاموي واتجاهه:

منذ بداية الدعوة الإسلامية مارست الاسرةالاموية موقف المناوئ للرسالة، وشنت حملات التشكيك والطعن بأفكار الرسالة، وأثارت الفتن في وجه الدعوة، وقادت المعارك ضد المسلمين. ولم يُسلم أقطاب الامويين الاّ بعد فتح مكة، فهو إسلام مَنْ لايجد مخرجاً غير التجاوب مع الدين الجديد الذي دخل فيه الناس افواجا، فلم يكن أيمانها ناشئاً عن قناعة وتسليم لأفكار الرسالة، بقدر ما كانت مجاراةً للوضع السياسي التي تمخض عن فتح مكة المكرمة.

فقد كانت الاسرة الاموية العدو الاول للاسلام حتىٰ فتح مكة عام (٨ هـ)، أي حاربت الرسالة زهاء عشرين عاماً. وكانت هٰذه الفترة كافية لثبات الاختيارت، وتحديد هوية هٰذه الاسرة وأشاخاصه.

كتب ابن الاثير بشأن إسلام ابي سفيان عن لسان العباس بن عبد المطلب:

«غدوت به (أي بأبي سفيان) علىٰ رسول الله ﷺ، فلما رآه قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأنِ لك أن تعلم أن لا أله الاّ الله؟ قال: بلىٰ بأبي أنت وامي يارسول الله، لو كان مع الله غيره لقد أغنىٰ عنّي شيئاً. فقال: ويحَك، ألم يأنِ لك ان تعلم أني رسول الله؟ فقال: بأبي أنت وأمي اما هٰذه ففي النفس منها شيّء. قال العباس: فقلت لهُ: ويحك، تشهَّدْ شهادة الحق قبل ان تضرب عُنُقُكَ! قال: فتشهّد ...»[1].

فتحت ضغط السيف والفتح المبين أسلم معاوية كما اسلم أبوه، وظلت الشخصية الاموية، وسلوكها الجاهلي، بعيدة عن تأثيرات الرسالة، الاّ انها اكتست قشرة اسلامية، تنطوي تحتها العقلية الاموية، حيث «تميزت لبنّي أمية في الجاهلية وصدر الاسلام خلائق عامة يوشك ان تسمىٰ لعمومها بينهم خلائق اموية، وهي تقابل مانسميه في عصرنا بالخلائق الدنيوية او النفعية، ويراد بها: أن المرء يؤْثر لنفسه ولذويه ولايؤْثر عليها وعليهم في موطن الايثار»[2].

وهٰذه الأخلاقية، والموقف العدائي من الدين ظل مشهوداً في مواقف الشخصيات الأموية التي توالت علىٰ الحكم، واذا كان دهاء معاوية دفعهُ الىٰ لف شخصيته الجاهلية بغطاء من الشعارات الاسلامية، فإن الحكّام الآخرين لم يجدوا حِرجاً في خلع (العباءة الاسلامية)، فهٰذا يزيد يتمثل علناً بشعر القائل:

(١) الكامل في التأريخ/ ج٢/ ص٢٤٥.

(٢) كتاب «معاوية بن ابي سفيان»/ ص٣٧٣.

«لَعِبَتْ هاشمُ بالملكِ فلا ... خبرٌ جاءَ ولا وحيٌ نَزَلْ»

وينشد الوليد بن يزيد بن عبد الملك في شعرهِ قائلاً:

«ياأيها السائلُ عَنْ دِيْنِنا ... نحن علىٰ دين أبي شاكر
نشربها صرفاً وممزوجة ... بالسخن أحياناً وبالفاتر»[1]

وينشد أيضا:

«فاصطحبنا من خمرِ عانةٍ صرفاً ... ولهونا بقينةٍ عرافة»[2]

ومما أشتهر عنه انه فتح المصحف فكانت الآية:
«واسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كلُّ جبّارٍ عنيد»
فأنشدَ شعره المشهور، وهو يرمي المصحف بالسهام:

«تُهددني بجبّار عنيد ... فها أنا ذاك جبارٌ عنيدٌ
إذا ما جئت ربَّكَ يوم حشر ... فقلْ يارب مزّقني الوليدْ»[3]

وإذا كان أبو سفيان قد أسلم خوفاً علىٰ حياته، ولم يكن إيمانه قائماً علىٰ الاقتناع الحر، فإن معاوية وظف هويته الاسلامية المزيفة للوصول للسلطة. وفرض لوناً من الفكر الجاهلي، أحدث بدعاً بين الأفكار الرسالية، كما سعى جاهداً للقضاء علىٰ رموز، وقيادات الفكر الاسلامي الأصيل، كقتله محمد بن أبي بكر، وعمّار بن ياسر، وحجر بن عدي، وغيرهم من

(١) الكامل في التاريخ ج٥ ص٢٦٠ [illegible] ما ذكره لهشام بن عبد الملك
(٢) المصدر نفسه ص٢٦٩
(٣) المصدر نفسه ص ٢٠

قيادات ورجالات الاسلام.

وحرص الامويون علىٰ خلق التيارات الفكرية التي اتصلت بالفكر الجاهلي، كـ: «طائفة المرجئة التي ظهرت في دمشق مركز حكم الامويين بتأثير العوامل المسيحية خلال النصف الثاني من القرن الاول الهجري.

وكانت العقيدة الاساسية عند المرجئة عدم تكفير أيِّ إنسان مهماأرتكب من المعاصي الموجبة للكفر وغيرها، مادام قد اعتنق الاسلام ونطق بالشهادتين، تاركين الفصل في أمره لله، وآراؤهم هٰذه تتفق تماماً مع رجال البلاط الاموي ومن يلوذ به.

وبزوال الدولة الأموية أَفَلَ نجمُ المرْجِئة، ولم تصبح بعد حزباً مستقلاً»[1]

وبالاضافة إلى عملية خلق المذاهب الفكرية والسياسية التي ترسخ دعائم الحكم الأموي، نشط هٰذا البيت في حجب الاحاديث والروايات التي تدين تصرفاتهم، كما شجع علىٰ اختلاق الاحاديث عن النبي ﷺ، فتحدث الرواة بأحاديث غريبة عنه ﷺ، تتمحور حول فكرة الخضوع للحاكم وحرمة الخروج عليه، والتعظيم لرجالات بني امية.

وفي ضوء ذلك يمكن تلخيص موقف البيت الأموي من الاسلام بما يلي:

١ ـ اعلان التسليم للرسالة نفاقاً بعد انغلاق المسالك في وجهه للتخلص من الاسلام.

٢ ـ العمل على الالتفاف علىٰ الفكر الاسلامي والصعود علىٰ اكتافه

(١) [illegible] ٤١٦

الىٰ السلطة.

٣ـ تشويه الفكر الاسلامي، والقضاء علىٰ رجالات الاسلام المخلصين.

٤ـ طرح الفكر، والثقافة الجاهلية في صفوف المجتمع وعلىٰ الساحة الاسلامية.

وعلىٰ هٰذا فان بني أمية جعلوا الإسلام طريقاً للصُّعود الىٰ السلطة، حيث استقطبت السلطة أهتمامهم منذ الجاهلية. وكانوا يرفضون الدخول في مشاريع سياسية أو اجتماعية لاتحقق هدفهم في السلطة، فلم ينضموا الىٰ حلف الفضول الذي طرح فكرته الهاشميون، وقاطعوا هٰذا الحلف «بل كان الرجل منهم يود ان يدخله فيخشىٰ ان يُحسب خارجاً علىٰ قومه، وقال أحدهم (وهو) عقبة بن ربيعة: لو ان رجلاً وحدهُ خرج علىٰ قومه، لخرجت من عبد شمس حتىٰ أدخل حلفَ الفضول»[1].

ويرتقي معاوية المنبر ويخطب بأهل الكوفة قائلاً:

«ياأهل الكوفة، أترونني قاتلتكم علىٰ الصلاة والزكاة والحج؟ وقد علمتُ انكم تصلون وتزكون وتحجون، ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم وأليّ رقابكم، وقد آتاني الله ذلك وانتم كارهون. ألاّ إن كل دم اصيب في هٰذه مطلول وكل شرط شرطته فتحت قدمَيَّ هاتين»[2].

وقال سعيد بن العاص:

---

(١) معاوية بن ابي سفيان/ ص٢٧٥.

(٢) ثورة الحسين عليه السلام/ ص٧٥.

«إنما السواد (العراق) بستان لقريش ماشئنا أخذنا منه وماشئنا تركناهُ»[1]

وهو بذلك يردد كلمات معاوية:

«المال مال الله وانا خليفة الله، فما شئتُ اخذتهُ، وماتركتهُ فهو جائز لي».

لقد كانت حركة البيت الاموي تسير في هٰذا الاتجاه وكانت جميع نشاطاته ـ وفي جميع اشكالها ـ تسعىٰ للحصول علىٰ مكاسب سلطوية، فأبو سفيان حين خرج ابو بكر من السقيفة خليفة للمسلمين ذهب الىٰ علي بن ابي طالب عليه السلام، واخذ يغريه بالخروج علىٰ حكم السقيفة بالسيف ويعرض عليه المساعدة، كما ان معاوية لم يهبَّ لمساعدة عثمان في اثناء محاصرة الثوار منزلَهُ، رغم انه كان بمقدوره ذلك، ثم بعد ان يُقتل يطالب علياً بتسليم قتلة عثمان له!.

إنّ هدف افراد البيت الاموي الاساس هو الظفر بالسلطة، رغم أنهم لايملكون مؤهلات الخلافة التي ترفعهم الىٰ تولي السلطة باسلوب نظيف، لذلك استخدموا جميع الوسائل الملتوية للوصول الىٰ السلطة، أو لتركيز دعائم حكمهم.

وقد استطاع معاوية خلال الفترة التي قضاها والياً في دمشق في عهدَيْ عمر وعثمان ان يصوغ عقلية الشاميين علىٰ وفق سياسته الخاصة، فأقتطع الشام ـ سياسياً ـ عن مركز الخلافة وحارب الخليفة الشرعي: علي بن ابي طالب، الامر الذي يشير الىٰ حجم الجهود التي بذلها معاوية، لتربية

(١) ثورة الحسين عليه السلام/ ص٤١.

الشاميين علىٰ الولاء المطلق له، ولنسمعه وهو يقول في وصيته ليزيد حول اخلاقية أهل الشام التي خلقها بنفسه:

«وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتكَ، فإن رأيت من عدوكَ شيئاً فانتصر بهم، فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام الىٰ بلادهم؛ فإنهم ان قاموا بغير بلادهم تَغيَّرت أخلاقهم»[١].

وبعد أن ظفر معاوية بالسلطة شنَّ حملة هوجاء علىٰ الفكر الاسلامي الثوري، وعلىٰ رجالاته، وسعىٰ في طرح المفاهيم الفكرية التي ترسخ سلطانه وفي هٰذا المجال يقول عبد الله بن صالح: «قيل لمعاوية: اي الناس احب اليك؟ قال: اشدهم لي تحبيباً للناس»[٢].

ويقول عبد الله بن عمير: «اغلظ لمعاوية رجل فاكثر، فقيل له: أتحلم عن هٰذا؟ فقال: إني لا أحولُ بين الناس وبين ألسنتهم مالم يحولوا بيننا وبين ملكنا»[٣].

وكان البيت الاموي يستخدم سياسة إثارة الروح القبلية بين القبائل، وإغراء بعضها ببعض، «كضرب الشيعة بالخوارج، والعرب بالموالي، واليمانية بالقيسية. بل كان يفعل ذلك في صميم البيت الاموي من غير السفيانيين»[٤].

---

(١) الكامل في التاريخ/ ج٤/ ص٦.

(٢) المصدر نفسه/ ج٤ ص١٢.

(٣) المصدر نفسه/ ج٤/ ص١٣.

(٤) علي ومناوئوه/ ص٢١٦.

وكذلك استخدم البيت الأموي سياسة الارهاب والاغراء لتركيع الموالين وجذبْ المعادين، فقد استطاع معاوية بهٰذه السياسة ان يجذب الكثير من الرجالات المعروفة بالدهاء والذكاء السياسي كعمرو بن العاص وزياد بن ابيه.

وهٰذا النمط من الفكر والسلوك والمواقف استمر علىٰ امتداد تسعين عام من حكم البيت الاموي، ففي ذات مرة دخل زيد بن علي بن الحسين ﷺ علىٰ هشام بن عبد الملك، وكان عنده رجل يسبُّ النبي ﷺ، فنهره زيد بن علىٰ، فقال هشام:

«مهلاً يازيد. لاتؤذِ جليسنا»!!.

وكان من الممكن لهٰذا النمط من التعصب والدجل والاحتيال ان يخنق قيم الرسالة، لولا ثورة الام الحسين ﷺ وحفيده ـ من بعدِه ـ زيد بن علي (رض)، حيث ايقظتا الامة، وبثتا فىٰ أوصالها الحياة والارادة والتحدي.

إن ذلك النمط الذي انتهجهُ الحاكم الاموي للوصول الىٰ اهدافه يؤدي الىٰ نهب ثروات الامة وسلب أمن افراد المجتمع فهٰذا عبد الله بن عامر يقترح علىٰ الخليفه الثالث اقتراحاً غريباً لاطفاء الثورة التي أضرمها أهل مصر ضد عمال عثمان:

«رأيي يا أمير المؤمنين أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك، وان تجمرهم (أي تجمعهم) في المغازي حتىٰ يذلوا لكَ فلايكون همة احدهم الاّ نفسه وما هو فيه من دبرة دابته وقمل فروه ...».

ويقول معاوية لسفيان بن عوف حين أرسله لمداهمة أرض العراق: «فاقتل من لقيته ممن ليس هو علىٰ مثل رأيك، وأخْرِبْ كل مامررت به من القرىٰ وأحرب الاموال؛ فإن حرب الاموال شبيه بالقتل، وهو أوجع للقلب»[1].

وبكلمة مختصرة، قامت سياسة البيت الاموي علىٰ اساس احتقار افراد المجتمع الاسلامي، وحرمانهم من حقوقهم، وفرض الضرائب الثقيلة عليهم، وسوقهم الىٰ ساحات الحروب ضد الامام الشرعي من اهل البيت عليه السلام.

ب ـ الصراعات السياسيّة علىٰ السلطة:

لعل اهم خصائص الحكم الاموي الذي شغل مساحة اثنين وتسعين عاماً تقريباً من التاريخ الاسلامي، هي شدّة الصراعات السياسية علىٰ السلطة، ذلك النزاع الذي اتخذ اشكالاً وصوراً عديدة.

فرغم ان بعض المؤرخين يرىٰ ان الحضارة الاسلامية تفتّحت في ظل ذلك النظام، وأعطت ثمارها في ظل العباسيين، إلاّ ان الحقيقة هي ان الجانب الذي اتصل بفاعلية العقيدة ودورها في تغيير الفكر، والعواطف والسلوك، وذلك الذي اتصل بالقيادة الشرعية طورا الحياة المادية والمعنوية للمجتمع المسلم، اما سائر جوانب القوة من الحضارة الاسلامية، فإن صراعات قيادات الحكم الاموي علىٰ السلطة قد حجبها وعطّل فاعليتها،

(١) شرح نهج البلاغة/ ج٢/ ص٨٦.

لأنّ النزاع علىٰ السلطة يدفع الحياة الاجتماعية باتجاه التعبئة العسكرية المستمرة مما يفوت علىٰ الامة فرص النمو والتقدم الحضاري.

وحيثُ إن بحث ثورة زيد يرتبط ببيان خصائص الحكم، لزم علينا ان نشير الىٰ هٰذا الجانب بشيء من التفصيل.

١ ـ صور من الصراعات السياسية:

لقد ضمت الصراعات أطرافاً وعناصر من غير الفرع الاموي، وخاصة بعد وفاة معاويه بن أبي سفيان، حيث اشتعلت الساحة الاسلامية بالصراعات السياسية علىٰ السلطة، واشتدت تلك الأطماع بعد وفاة يزيد، فظهرَ في مكة عبد الله بن الزبير، الذي سيطر علىٰ المدينة والكوفة والبصرة ومصر. وفىٰ داخل البيت الاموي أشتد الصراع بين مروان بن الحكم وخالد بن يزيد بن معاوية وبين عمرو بن سعيد، وكان «النزاع قد احتدم بين عرب الشام بسبب المنافسة بين افراد البيت الاموي، اذ أصبح كلٌّ منهم يطمح في الخلافة ويرىٰ نفسه أحقّ بها من غيره، واستمر النزاع بين أنصار بني أمية حتىٰ عقدوا مؤتمر الجابية الذي بايعوا فيه مروان بن الحكم بالخلافة، ثم خالد بن يزيد ثم عمرو بن سعيد بن العاص من بعده»[١].

واتسع سلطان ابن الزبير حتىٰ اخترق دمشق عاصمة الامويين علىٰ يد الضحاك بن قيس.

---

(١) تاريخ الاسلام/ ج١/ ص٢٨٩.

أما مروان فكان لايحدث نفسه بالخلافة، لانه يفقد مؤهلاتها إلّا ان عبيد الله بن زياد زخرف له ذلك فاستجاب مروان، ودعا لنفسه، بعد ان كاد يبايع عبد الله بن الزبير.

ونجح مروان في اخذ البيعة له، وحارب الضحاك الذي دعا لابن الزبير وقتلهُ في مرج راهط، ثم عاد الىٰ دمشق، وكتب عهده لاثنين من ولده، هما عبد الملك بن مروان، وعبد العزيز بن مروان، علىٰ التوالي. فتولىٰ عبد الملك السلطة سنة (٦٥ هـ) وكان عبد العزيز الىٰ جانب عبد الملك في النفوذ والسلطة، حيث «كان عبد الملك لايفضل عبد العزيز بشيء إلا باسم الخلافة، حتىٰ لربما كان عبد الملك يأمر بالشيء فيريد عبد العزيز غيره، «ويرىٰ خلافه فيرده الىٰ رأيه ولايمضيه» وكان عبد الملك يعلق علىٰ ذلك: ان عبد العزيز صِنْوُ أمير المؤمنين وقد امضينا فعلَهُ»[1].

وهٰذا يعني أن مروان بن الحكم هو الذي مارس فكرة (الشركة) في الولاية، بعد ان اتبع معاوية أسلوب تولية العهد.

وبذلك اكتسب الحكم الاموي طابعه الثابت من هاتين المبادرتين في نقل السلطة، وظلت هٰذه الصورة هي السائدة، حتىٰ في ظل حكم الاسرة العباسية التي تولت مقاليد السلطة بعد الاسرة الاموية.

وقد اتَّبع مروان بنود اتفاقية الجابية الذي نظمه الامويون واقترحوه علىٰ مروان بعد ان تخلىٰ معاوية بن يزيد عن السلطة في ذلك المؤتمر، وكانت تلك الاتفاقية تنص علىٰ ان يتولىٰ مروان السلطة علىٰ ان يكون

---

(١) تاريخ اليعقوبي/ ج٢/ ص٥٤.

ولي عهده خالد بن يزيد وعمرو بن سعيد فوافق مروان علىٰ ذلك، ولكنه نقض ذلك وجعل ولاية العهد لولديه عبد الملك وعبد العزيز، واستمر هٰذا النهج حيث جعل عبد الملك ولاية العهد لولديه: الوليد وسليمان علىٰ التوالي.

وظلّ عمرو بن سعيد بن العاص المنافس القوي لعبد الملك، وقد فرض نفسَهُ حاكماً، واتبعَهُ قوم من أهل الشام. فاحتال عليه عبد الملك، ثم استدعاه الىٰ قصره وقتله وطرح رأسه مع الدنانير، والدراهم من خلف أسوار القصر علىٰ اتباعه الذين كانوا ينتظرون خروجه، فبايعوا عبد الملك[1].

وبعد وفاة عبد الملك تولىٰ الوليد بن عبد الملك مقاليد السلطة طبقاً لعهد ابيه الذي نص علىٰ ان يكون سليمان بن عبد الملك ولياً للعهد في خلافة الوليد. «فكأن الوليد أراد ان يخلع اخاه سليمان ويبايع لولده عبد العزيز، فابىٰ سليمان فكتب إلىٰ عماله، ودعا الناس الىٰ ذلك، فلم يجبهُ الاّ الحجاج وقتيبة (بن مسلم) وخواص من الناس. فكتب الوليد الىٰ سليمان يأمرهُ بالقدوم عليه فأبطأ، فعزم الوليد علىٰ المسير اليه ليخلعَهُ، واخرج خِيامه فمات قبل ان يسير اليه»[2].

وقد بلغت حدة النزاع بين الوليد وسليمان ذروتها، وعزم الاول علىٰ خلع سليمان، فكأنّ الذين تابعوا الوليد وأيدوه في مسعاه خَشَوْا موت الوليد

---

(١) تاريخ اليعقوبي/ ج٢/ ص٢٦.

(٢) الكامل في التاريخ/ ج٥ ص١٠.

قبل أن يولي العهد لولده، خوفاً من تولي سليمان السلطة، فقد «مرض الوليد قبل وفاته وأغمي عليه فبقي يومه ذلك كذلك كأنهُ ميت، فبكَوْا عليه وسارت البُرُد[١] بموته فاسترجع الحجاج وشدَّ في يده حبلاً الىٰ اسطوانة وقال: اللهم لاتسلط علي من لارحمة له، فقد طالما سألتك ان تجعل مَنيتي قبلَهُ»[٢]. ويعني بالاول الوليد.

وقد عذب سليمان موسىٰ بن نصير الذي فتح الكثير من البلدان، بسبب ان الاخير عجّل المسير الىٰ الوليد بعد عودته من الفتوحات رغم وصيّة سليمان له بوجوب التباطؤ عنه حتىٰ يهلك.

ونستخلص من تلك الصور للنظام السياسي الاموي ما يلي:

أ ـ ان حق تعيين الخليفة الجديد حق خاص يتمتع به الخليفة الفعلي.

ب ـ ان الخليفة يعيِّن اثنين اوثلاثة أشخاص يتولَّوْنَ الخلافة واحدا بعد الآخر.

ج ـ ان وليّ العهد لايشترط فيه مؤهلات قيادية، بل أراد سليمان أن يعقد الولاية لأبنه الذي لم يبلغ سن الرشد عند وفاته لولا ان رجاء بن حيوة منعهُ من ذلك فأقترح سليمان عمر بن عبد العزيز، فمدحه رجاء وصوّب اختياره.

ويشرح الماوردي هٰذه النظرية التي تنص علىٰ حق الخليفة في تعيين حاكمٍ أو اكثر من بعده بالقول: «ولو عهد الخليفة الىٰ اثنين أو اكثر ورتب

---

(١) جمع بريد وهو جهاز يتولىٰ عملية نقل الرسائل.

(٢) الكامل في التاريخ/ ج٥/ ص١٠.

الخلافة فيهم فقال: الخليفة بعدي فلان، فإن مات فالخليفة بعد موته فلان. فإن مات فالخليفة بعده فلان جاز، وكانت الخلافة متنقلة الىٰ الثلاثة علىٰ مارتَّبها».

ويستدل الماوردي علىٰ صحة ذلك بالقول: «عمل بَذلكَ في الدولتين من لم ينكر عليه احد من علماء العصر، هٰذا سليمان بن عبد الملك عهد الىٰ ابن عبد العزيز ثم بعده الىٰ يزيد بن عبد الملك، ولئن لم يكن سليمان حجة فإقرار من عاصره من علماء التابعين، ومن لايخافون في الحق لومة لائم هو الحجة، وقد رتَّبها الرشيد في ثلاثة من بنيهِ في الامين ثم المأمون ثم المؤتمن»[1].

إن الصراعات السياسية تتصل بحق الخليفة في تعيين الحاكم الذي سيخلفه اذ ان الخليفة لا يُعيِّن شخصاً واحداً، انما يعين اثنين او ثلاثة، فينفجر الخلاف بين هٰؤلاء الاشخاص وبين خطوطهم الممتدة في العائلة، فينشب الصراع العنيف بين أتباع كل شخص، وقد يكلف الامة الكثير من الدماء كما هو الحال في الدولة الاموية، وفي الصراع العسكري بين الامين والمأمون فىٰ العصر العباسي.

٢ـ جذور الصراع وأسبابه الفكرية والسياسية:

من أهم الدعائم التي اعتمدها الحكم الأموي، وتبعه العباسي، هي الاعتقاد بأن للخليفة حق تسمية الحاكم الذي يليه علىٰ المسلمين. واعتقد ان

(١) الماوردي/ الاحكام السلطانية/ ص١٣.

هٰذا الجذر الفكري هو الذي فتح باب الصراعات العسكرية بين الاقطاب (الشخصيات) علىٰ مصراعيه، وقد عرفنا ان اصل هٰذا النظام أقتبسه معاوية من بلاد الروم، وحاول ان يستند بذلك علىٰ تولية ابي بكر لعمر وتولية عمر لستة من كبار الصحابة.

ومهما يكن الحال فان تطورات كبيرة طرأت علىٰ فكرة تعين أو اقتراح الخليفة من قبل الحاكم الفعلي، من أهمها منح الحاكم الفعلي حق تولية شخصين، أو ثلاثة للحكم بعده، وعدم ملاحظة إمكانات ولي العهد ومؤهلاته. وهنا تكمن الخطورة، ونقطه انطلاق الصراعات السياسية. امّا اذا كان اختيار الخليفة الجديد بنص خاص من المعصوم فإن حدّة الخلافات ستنخفض بشكل ملحوظ، اذا لم نقل أنها ستختفي تماماً.

والىٰ جانب الجذر الفكري للصراعات السياسية، هنالكَ منابع سياسية ساهمت في خلق الصراعات السياسية وهي:

أـ تغييب القيادة الرسالية، وعزلها بالقوة عن ممارسة دورها في قيادة الأُمة، اذا لومارست القيادة الشرعية دورها لما برزت الخلافات، لأنها أساساً ناشئة من الطمع بالسلطة او الاعتقاد بالاولوية، كما حصل في موقف مروان بن الحكم من تولية معاوية يزيدَ السلطة، فقد رفض ذلك وعابه عليه، حتىٰ ولاه منصب المستشار وولاية مصر. فانصاع لهُ. !

بـ سيطرة الاطماع والاهواء علىٰ أفراد البيت الحاكم، ومن ثَمَّ السعي للحصول علىٰ السلطة عن طريق القوة من خلال التحالف مع القيادات العسكرية والسياسية، للظفر بالسلطة.

ج- ضعف الوعي السياسي لدىٰ أغلب أبناء الامة، الذي تجلىٰ في إهمال وظيفتها في الاتصال أو في معرفة القيادة الشرعية والابتعاد عن القيادات الجاهلية.

تأثير الصراعات السياسية علىٰ الجماهير:

إن الصراع علىٰ السلطة ليس كسائر النزاعات العادية التي تقع بين أفراد المجتمع، أو بين الفئات الاجتماعية، وإنما تؤثر سلباً في حاضر المجتمع ومستقبله، وذلك لان أطراف النزاع يوظفون ثروة المجتمع، ومكاسبه الحضارية في طريق تحقيق اهدافهم في تولي السلطة، فقد كتب الطبري عن اقتتال الناس بعد تخلي معاوية بن يزيد عن السلطة:

«وأقام الناس بدمشق، وخرج الضحاك الىٰ مسجد دمشق فجلس فيه، فذكر يزيد بن معاوية فوقع فيه، فقام اليه شاب من كلب بعصاً معه فضربه بها، والناس جلوس في الحلق متقلدي السيوف، فقام بعضهم الىٰ بعض في المسجد فاقتتلوا ...»[1].

وقد عذب الوليدُ عمرَ بن عبد العزيز وغيره لانه رفض الانصياع لرغبته في جعل ولاية العهد لولده بدل سليمان الذي كان ولياً للعهد بنص أبيه. كما عذب سليمان موسىٰ بن نصير، لانه لم يطعه في تأخير عودته الىٰ دمشق محملاً بالغنائم الحربية النفيسة، وأراد صلبه، لولا ان تدخل عمر بن عبد العزيز في استصدار العفو من سليمان.

---

(١) تاريخ الامم والملوك/ ج٧/ ص٣٦.

ج- طبيعة الفتوحات العسكرية:

ان من الظواهر المهمة التي شهدتها الفترة الاموية، اتساع الفتوحات العسكرية، والتحرك السريع والنشط للسيطرة علىٰ بلدان الشمال الافريقي، وهٰذه الظاهرة بدأت في عهد الوليد بن عبد الملك (٨٦ ـ ٩٦) هـ، وتقلّصت في ظل سليمان، وتركزت علىٰ فتح بلاد جرجان وطبرستان وحصار القسطنطينية، وتوقفت تماماً بأمر من عمر بن عبد العزيز في عهده.

وحين نتناول حركة الفتوحات العسكرية، فمن الضروري ان نميّز بين العمل العسكري الذي يستهدف نشر الرسالة، وأحكام الله، وتحرير الانسان والمجتمع من ظلم الطواغيت، وسيطرة الاوهام، والخرافات، وبين العمل العسكري الذي يرتدي الثياب الاسلامية، ولكنه في جوهره يحرص علىٰ تحقيق مكاسب مادية.

وحركة الفتوحات العسكرية في العهد الاموي هي من النوع الثاني إذ لم تستهدف تلك الفتوحات اهدافاً ربانية، حتىٰ علىٰ فرض سلامة دوافع القيادات العسكرية، والجنود الذين دخلوا تلك المعارك، لان القيادة التي تصدّت لتوجيه تلك الحركة لم تكن قيادة ربانية، كما هو واضح.

وبشكل ادق نقول: إن التوسُّع الاسلامي، وانتشار الرسالة حقيقة تفرضها ذات الرسالة، التي تنطوي علىٰ الرؤية الاساسية لبناء المجتمع الانساني وكان رسول الله ﷺ قد أكّد قبل وفاته علىٰ ضرورة ارسال حملة أسامة للفتح الاسلامي. فأصل فكرة هداية الناس ونشر الاسلام لايمكن

لباحث ان يناقش في وجودها في صلب النظام العقيدي والسياسي الاسلامي، انما ثمة ملاحظات علىٰ القيادة السياسية، وربما العسكرية احياناً، التي مارست العمليات العسكرية، وعلىٰ الأهداف التي توخاها النظام السياسي الأموي من العمليات العسكرية.

فلابد من التمييز بين الحكم الاموي، وبين طبيعة الفتوحات الاسلامية. فالفتح الاسلامي عملية تمارسها القيادة الشرعية التي استوعبت مفاهيم وقيم الرسالة لانها وحدها تستطيع ان تستوعب جميع الحالات الجديدة التي ترافق الفتح، وكذلك معالجة العقد والعقبات التي تعترضه، في حين أن الامويين نصبوا أمام اعينهم اهدافاً مادية أساسية للفتح.

ومن هنا نعرف ان الاشكالات التي رافقت الفتح في بعض اشواطه، كإسلام بعض المدن، وارتدادها، والغدر بالمسلمين، لو واجهت القيادة الشرعية لاستطاعت تجاوزها وافهام أهل المدن المفتوحة حقيقة الرسالة الاسلامية التي تتنافىٰ مع فكرة الاكراه والجبر، والانقياد لغير الله تعالىٰ.

ولنر اهم الاهداف التي دفعت الحكم الاموي الىٰ فتح باب الفتوحات العسكرية علىٰ مصراعيه، والتي تتلخص في النقاط التالية:

١ ـ إرسال القوات العسكرية الىٰ خارج الساحة الاسلامية، لمنع قيادات المعارضة من الاستفادة من هٰذه القوات في محاربة النظام، إذ بإمكان المنافسين في داخل البيت الاموي وغيره استغلال هٰذه القوة، ومحاربة الحاكم، أو محاصرة عاصمة النظام، او حتىٰ اعلان الانفصال عن نفوذه.

وهٰذا الاحتمال له اهميته لو عرفنا ان الامور في ذلك الوقت لم تستقر لصالح احد المتنافسين بعد، وان الساحة الاسلامية تعجُّ بكبار الشخصيّات التي تتمتع بنفوذ تستطيع توظيفهُ للقيام بعمل ضد النظام. فإرسال تلك القوات يسعىٰ إلىٰ تجميد امكان القيام بتجربة اخرىٰ مشابهة لتجربة عبد الملك الناجحة مع ابن الزبير رغم ان الاخير امتد نفوذه السياسي والعسكري من مكة والمدينة الىٰ البصرة والكوفة حتىٰ الشام.

٢ـ الحصول علىٰ الغنائم الحربية، فأن هٰذه الفتوحات استهدفت تحقيق مصالح مادية، رغم ان بعض القيادات العسكرية التي مارست تلك العمليات ربما لم تكن تراودها تلك الاطماع، فالوليد بن عبد الملك حين علم ان موسىٰ بن النصير قد فتح الكثير من البلدان، وظفر بالكثير من الغنائم و«بلغه مسير موسىٰ بن نصير الىٰ الاندلس ووصفت له، ظن انه يريد ان يخلعهُ ويقيم فيها ويمتنع بها، وقيل له ذلك، وأبطأت كتب موسىٰ عليه لاشتغاله بما هنالكَ من العدو وتوطيئه لفتح البلاد، فأمر الوليد القاضي ان يدعو علىٰ موسىٰ اذا قضىٰ صلاته، وان موسىٰ لما دخل طليطلة بعث علي بن رياح بفتحها واوفد معهُ وفداً فسار حتىٰ قدم دمشق صلاة العصر فدخل المسجد فالفىٰ القاضي يدعو علىٰ موسىٰ»[1].

وقد استدعاه الوليد قبيل وفاته ومعه الاموال والغنائم ولم يصغِ الىٰ طلب سليمان إياه التريث حتىٰ يموت الوليد وتؤول اليه غنائم الاندلس»[2].

(١) الامامة والسياسة/ ج٢/ ص٧٥.
(٢) المصدر السابق/ ج٢/ ص٧٥.

فنقم منه سليمان وعذبه عذابا شديداً بعد وفاة الوليد.

٣ـ فرض الضرائب علىٰ اهل البلدان التي تم فتحها، بالشكل الذي وفّر للحاكم اموالاً طائلة ينفقها لاشباع مطامعه الشخصية.

«ففي عهد عبد الملك عُمل في خراسان احصاء جديد للسكان عامة، وكلف كل شخص بسداد ما فرض عليه من الضريبة، وزاد جزية كل شخص ثلاثة دنانير علىٰ ماكانت عليه من قبل. وكذلك كانت الحال في العراق حيث كانت تزيد الضرائب الاستثنائية في عبء ما كان يثقل كاهل الاهلين من الضرائب المقررة، وقد بين «فون كريمر» كيف استطاع الحجاج الثقفي ان يرغم حديثي العهد بالاسلام علىٰ دفع الضريبة التي يدفعها الكفار، وماتلا ذلك من المقاومة العنيفة التي قاوموه بها، وانضمامهم الىٰ صفوف عبد الرحمنِ بن الاشعث الذي أشعل نار الثورة علىٰ بني امية»[1].

ولم تتوقف هٰذه السياسة الاّ في عهد عمر بن عبد العزيز، حيث رفع الجزية عن أهل الذمة، و«نقص إيراد بيت المال نقصاً محسوساً، ورأىٰ بعض الولاة عندما نقصت جزية الرؤوس علىٰ أثر ازدياد دخول الناس في الاسلام ان يرفع (أي يبقي) الجزية عمن اسلم، فابىٰ عمر ان يستجيب الىٰ هٰؤلاء الولاة الىٰ ما طلبوهُ»[2].

هٰذه أهم الأهداف التي توخّاها الحكام الامويون. وهي بشكل عام تمثل الجانب الذي يرتبط بشخص الحاكم وطريقته في قيادة تلك العمليات،

(١) تاريخ الاسلام/ ج١/ ص٤٧٤.

(٢) تاريخ الاسلام/ ج١/ ص٣٣٨.

وبقدر ما يتصل بهٰذا الجانب نلمح الطرق الخاطئة، والشكوك التي تخامر قلب الحكام تجاه الولاة والقادة.

بيّد أن مايتصل بهٰذا الجانب ينبغي ان لايغيّب عن أبصارنا الجوانب الايجابية من تلك الفتوحات التي من أهمها اتساع رقعة النفوذ السياسي للاسلام.

وفي الحقيقة ينبغي ان نقول: ان النقاط الايجابية للفتح الاسلامي ناشئة من الجوانب التي تتصل بالعقيده التي حملها المسلمون. اما النقاط السلبية فإنها ناشئة من تلك التي تتصل بشخص الحاكم، وادارته، وحجم إيمانه بالرؤية الاسلامية، والتزامه بها عملياً.

فمن الواضح ان الفتح لايقتصر علىٰ توسيع النفوذ السياسي، انما المطلوب نسف عقائد الشرك، والافكار الفاسدة، ومنح الانسان الحريات الكافية لادراك الهدىٰ، وإذا كان القائد ليس بمستوىٰ هٰذه المعاني، فإن الفتح لن تتم اهدافه بشكل عام كامل.

إن حاكماً كيزيد بن عبد الملك الذي أغرم بالخمر والنساء، والذي مات غمّاً علىٰ موت (حبابة)، وحاكماً كالوليد بن يزيد الذي اشتهر بالفساد، كفيلان ببيان أن الحكام الامويين ليسوا بمستوىٰ الفرد الصالح في المجتمع الاسلامي، فضلاً عن أن يكونوا قادة لهٰذه التجربة العظيمة.

ثانياً: نشوء المذاهب الفكرية والسياسيّة

شهدت الفترة التي تلت وفاة الرسول ﷺ، وعلىٰ امتدادا العصر الاموي، بروز الجذور الاولية للمذاهب الفكرية والسياسية، الاّ أن دور هٰذه

المذاهب ظهر بعد العقد الثالث من القرن الهجرِي الاول.

وقد حرص الحكام الامويون علىٰ استغلال هٰذه المذاهب في تصفية أعدائهم السياسيين، ووضعوا نصوصاً تؤيد نهجهم المنحرف الظالم. كما أنهم أختلقوا اتجاهات مذهبية من اجل تكوين الأُطرِ الفكرية لاضفاء الشرعية علىٰ حكمهم إِذ دون ذلك يتعذر تشويه الشخصية الاسلامية، التي اخذت صورتها الأساسية من الحياة النبوية القريبة، والتي لايزال نسيمها يملأ وجدان الصحابة والتابعين.

ومن هنا، فقد اتجه نشاطهم نحو خلق المذاهب الفكرية والسياسية، في محاولة لتحريف وتشويه الفكر الاسلامي، وتركيز حكمهم الظالم.

ومن أشهر الطوائف التي اتصلت بالحكام الامويين، طائفة «المرجئة»[1]، التي طرحت أفكاراً غريبة علىٰ الساحة الاسلامية، كصحّة ايمان الانسان وإن أعلن الكفر بلسانه، وانه مسؤول عن أعماله في يوم القيامة فقط.

وهٰذه الفكرة تهدف في الحقيقة تشويه الرؤية الصحيحة للانسان المسلم، والتي تتلخّص في ضرورة محاربة الظلم والكفر، وتسليم مقاليد السلطة لأصحابها الشرعيين.

---

(١) مرَّ «المرجئة» بمرحلتين، احداهما المرجئة الاولىٰ، وهم الذين لايتولون عثمان ولا علياً، ولايحكمون عليهما. وهٰذه الطائفة جاءت علىٰ خلاف رغبة الامويّين الذين يرغبون في تكفير علي عليه السلام، والايمان بعثمان. اما الطائفة الثانية من «المرجئة» فيحتاج الحديث عنها الىٰ بحث مستقل.

إن الأختلافات في تفسير بعض الظواهر والجوانب الدينية، ظهرت في صفوف المسلمين، وقامت علىٰ اساسها مذاهب بيد ان المشكلة الحقيقية تكمن في اختلاق المذاهب والتيارات بقوة المال والسلاح، وبهدف سياسي منحرف. وهٰذا ما فعله الامويون.

من خلال هٰذا الاستعراض لخصائص الحكم الاموي، يتبين ان انحرافاً عريضاً انتاب نظام الحكم في ظل الامويين ليمس بعد ذلك المفاهيم الاسلامية لطائفة من المسلمين، ويمس صميم العمل السياسي لغالبية الامة.

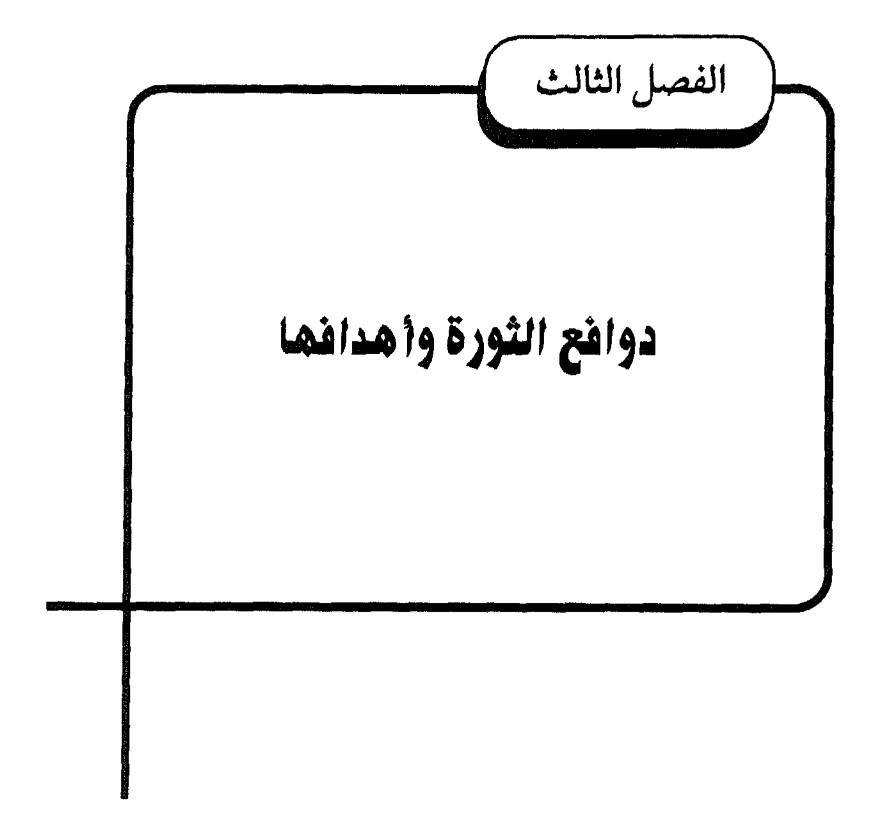
من هنا ندرك السر فى عدم قبول الامام علي عليه السلام نصيحة بعضٍ في إبقاء معاوية حاكماً علىٰ الشام برهة من الزمن، ريثما تهدأ الامور، ثم عزله بعد ذلك، وكذلك في إصرار الامام الحسين عليه السلام علىٰ اعلان الثورة علىٰ حكومة يزيد بن معاوية. كما نعرف وزن حديث زيد بن علي ودلالته وهو يبين أسباب ثورته بالقول:

«وانما خرجت علىٰ بني أمية لأنهم قتلوا جدِّيَ الحسين وأغاروا علىٰ المدينة يوم الحرّة، ثم رمَوْا بيت الله بحجر المنجنيق والنار»[1].

وفي الواقع ان التمزق والتناحر السياسي، والتخلخل الاجتماعي، والقلق الروحي قد بلغ مداه في ظل الامويين، وظلت الامة تعاني من هٰذه الاوضاع الشاذة، الىٰ أن استطاع العباسيون إسقاط البيت الاموي، وعالجوا جانباً من الإرث الاموي، ولكنهم سقطوا في أخطاء وانحرافات لاتقل في جوهرها عن أخطاء سلفهم.

---

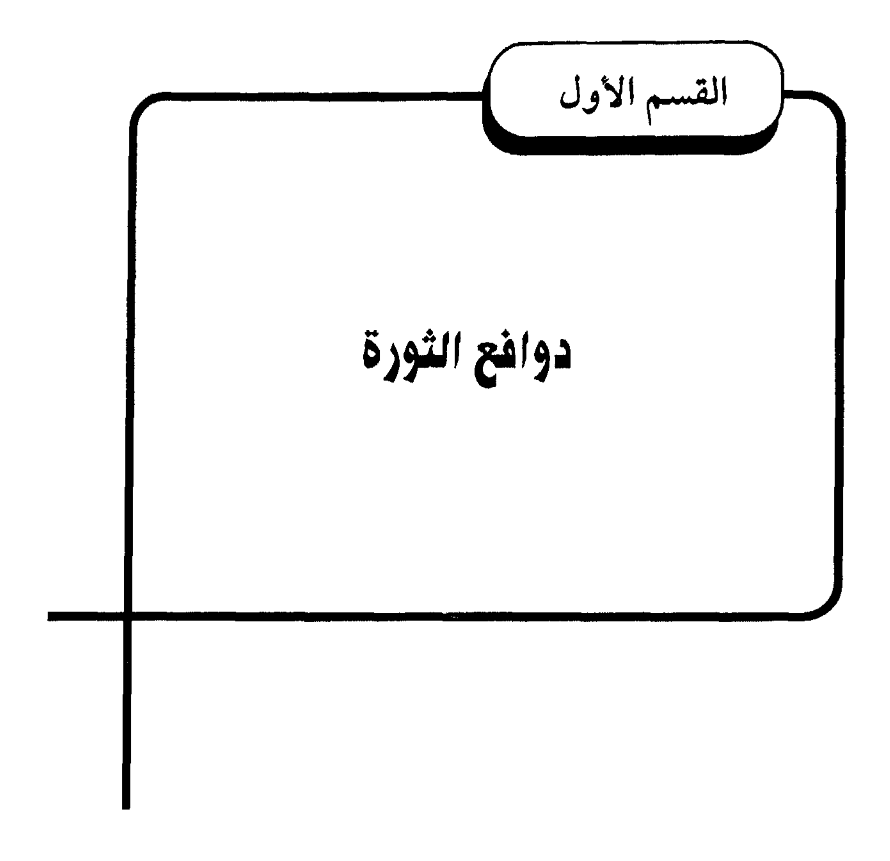
(١) تايرخ الاسلام/ ج١ / ص٤٠٦.



الفصل الثالث

دوافع الثورة وأهدافها





القسم الأول

دوافع الثورة



إن الثورة لاتحدث من فراغ، ولاتنطلق من دون هدف محدد، بل هي كسائر الظواهر الاجتماعية الاخرىٰ لها أسبابها، ودوافعها، وأهدافها. وكلما كانت الثورة ذات قيادة واعية، تميزت بصورة واضحة اهدافها وبرامجها.

وعلىٰ أساس هٰذه الرؤية انطلقت ثورةزيد بن علي، وقد أشرنا في القسم السابق الىٰ الأوضاع التأريخية التي سبقت الثورة، وفي هٰذا القسم نحدد دوافع الثورة، وعواملها؛ لان ثورة زيد ليست حالة ارتجالية، وقراراً فجائياً اتخذه زيد(رض)، بل هي تعبر عن موقف رسالي، وأرادة فئّة وقرار شعبي.

وتتلخَّص هٰذه الدوافع فيما يلي:

اولاً: تفشي الظلم والفساد في المجتمع الاسلامي.

ثانياً: الاستعداد الشعبي للثورة.

ثالثاً: امكانات وقدرات زيد علىٰ قيادة الثورة.

وقبل دراسة هٰذه النقاط لابد من بيان ملاحظتين:

الاولىٰ: تتعلق بالفرق بين دوافع الثورة وبين اهدافها.

فالدوافع مجموعة الظروف والامكانات السياسية، والنفسية التي تشترك في بلورة قرار الثورة، وهي تسبق الثورة في مرحلة زمنية قد تطول أو تقصر، أما أهداف الثورة فهي الاغراض الحقيقية التي يسعىٰ قادتها إلىٰ الوصول اليها عبر ممارسة الثورة وان كانت الاهداف قد رسمت في ذهن القائد قبل اشعال الثورة.

ان الاهداف تتحقق غالباً بعد قيام الثورة الاّ اذا كان القيام بالثورة يمثل بحد ذاته هدفاً اساسياً يتحقق ـ عادة ـ قبل القضاء عليها، واخمادها من قبل النظام الحاكم.

الثانية: تتعلّق بمراحل الحكم الاموي منذ نشوئه وحتىٰ سقوطه، في ضوء سياسته التي سعت في أحياء القيم الجاهلية، وتلك المراحل هي:

١ ـ مرحلة النشاط والسعي لنشر الاسس الجاهلية.

٢ ـ مرحلة انتشار تلك الاسس، وظهور نتائجها في الساحة الاسلامية.

٣ ـ مرحلة اضمحلال وضعف النظام الاموي.

والمرحلة الاخيرة هي نتيجة من نتائج ثورات الامامية المتواصلة، التي عملت علىٰ اضعاف النظام الاموي، فجهود أهل البيت عليهم السلام قلصت عمر ذلك النظام، ثم أخيراً، قضت عليه.

لقد تميّزت الفترة الزمنية الاولىٰ من الحكم الاموي، بصفة التكوين للأسس التي صاغتها الشخصيات الاموية، من خلال صراعها ضد الاسلام حيثُ تمت صياغة الأسس الجاهلية التي تناقض تعاليم الاسلام.

أما الفترة الثانية التي بدأت في تقديرنا بعد وفاة عمر بن عبد العزيز فهي تتصف غالباً بالاذعان العام للنظام الاموي، والخضوع للمخططات الاموية[١].

فالمرحلة الثانية تمثل الوجه العمليّ للمرحلة الاولىٰ، وهي فترة قَطْف الثمار، وإكراه الامة علىٰ التسليم بالواقع المنحرف بعد فرضه بالقوة علىٰ الجماهير.

واذا كانت ثورة الحسين بن علي عليه السلام قد نجحت في هز أسس فترة التكوين تلك، فإن ثورة زيد بن علي قد نجحت ايضا في هز أسس فترة قطف الثمار، وفي بعث الصوت الرسالي الرافض كما سياتي بيانه أن شاء الله.

بعد هٰذا لابد ان نشير الىٰ دوافع ثورة زيد بن علي (رض) وهي كما يلي:

اولاً: تفشي الظلم والفَساد في المجتمع الاسلامي

بعد المذابح الرهيبة، سياسات القمع والتجويع، استطاع البيت الاموي السيطرة علىٰ السلطة. ولأنه اعتمد علىٰ سياسة الترهيب، والاغراء، وعلىٰ أسلوب التضليل، ونشر الباطل، كان من الطبيعي ان يملأ أفق الساحة الاسلامية الجور والظلم والضياع الفكري.

---

(١) نشير هنا الىٰ ان حركات الخوارج العسكرية هزت النظام الاموي من الاعماق، اما سائر الحركات، فإنّها مارست الاساليب السياسية، أو الثقافية في معارضتها.

ومن أجل معرفة حجم هٰذا الظلم الذي حرّكَ زيداً للقيام بثورته لابد من الاشارة الىٰ بعض تلك المظاهر:

١ـ السعي بجد لفصل الامة عن مضمون الرسالة، وإيجاد الحواجز الكثيفة للحيلولة دون فهم الرسالة، وتطبيقها في السلوم الاجتماعي.

٢ـ فصل الامة عن القيادة الرسالية، المتمثلة بأهل البيت عليهم السلام، من خلال فرض الرقابة علىٰ منازلهم، وملاحقة أنصارهم، وتضييق دائرة تاثيرهم.

وهٰذه السياسة أدّت الىٰ ضياع قطاعات عريضة من الجماهير عن الاهتداء بهدْيِ أهل البيت، حيثُ سيطرت علىٰ الناس مذاهب وأفكار جاهلية.

٣ـ تعطيل حدود الله، وإسقاط السنن الاسلامية وممارسة التقاليد الجاهلية.

٤ـ ممارسة سياسة، ومواقف أدّت الىٰ شيوع الصراع بين قبائل المجتمع الاسلامي وافراده، واختلاق مذاهب فكرية منحرفة ساهمت في تنويع اشكال النزاع وتعميمه.

٥ـ التشجيع علىٰ الفساد، واعتباره سلوكا اجتماعياً مشروعاً، فانتشر في زمان الحكم الاموي وما بعده الغناء والرقص وشرب الخمر.

إن الذي ساهم في رفع درجة قابلية التسليم لذلك الظلم، وشيوع الفساد، هو قبول أصل النظام، وقادته، وخاصة في المرحلة التي أعقبت وفاة عمر بن عبد العزيز. ذلك لان المرحلة الثانية لم تشهد شخصيات رسالية

قوية معارضة (باستثناء أئمة أهل البيت ﷺ) كما هو الحال في المرحلة الاولىٰ لحكم الامويين، حيث كانت الساحة الاسلامية تزخر بالشخصيات القوية التي تؤثر في قطاعات واسعة من جماهير الامة الاسلامية، بحكم اتصالها بعصر النبوة، وشدّة علاقتها بالامة، كحِجْرِ بن عَدِيٍّ، وسليمان بن صُرَدٍ، وهاني بن عروة، وجابر بن عبد الله الانصاري، وغيرهم من الشخصيات الرسالية التي عاشت في عصر الامامين علي بن الحسين السجاد، ومحمد بن علي الباقر ﷺ.

وفي هٰذا الجو وجدت الافكار المنحرفة طريقها الىٰ الساحة العملية، واعطت ثمارها المرَّة، وخربَّت رؤىٰ الجماهير وافسدت عليهم فطرتهم الثورية التي صنعها عصر النبوة. ومن ثَمَّ أدت الىٰ نكوص الجماهير عن القيام بالمبادرات الثورية.

إن نصيب أئمة أهل البيت ﷺ من هٰذا الظلم كان كبيرا وذلك لانهم يشكلون المعارضة الحقيقية، والصلبة للنظام، حيث تعمَّد النظام الىٰ إيذائهم والسخرية بهم فقد نقلت الروايات أن «هشام بن عبد الملك حجَّ في خلافة عبد الملك، فطاف بالبيت فأرادَ ان يستلم الحجر فلم يقدر عليه من الزحام، فَنُصب له منبر فجلس عليه وطاف به أهل الشام، فبينما هو كذلك أذ أقبل علي بن الحسين ﷺ وعليه إِزار ورداء، من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم رائحة. بين عينيه سجادة كانها ركبة عنز، فجعل يطوف بالبيت فاذا بلغ الىٰ موضع الحجر تنحىٰ الناس عنه حتىٰ يستلمه هيبة له وإِجلالاً، فغاظ ذلك هشاماً، فقال له رجل من أهل الشام: ياهشام، من هٰذا الذي قد هابه الناس

هٰذه الهيبة، وأفرجوا له عن الحجر؟ فقال هشام: لاأعرفه. لئلا يرغب فيه أهل الشام، فقال الفرزدق وكان حاضراً: لكني أعرفه. فقال الشامي: من هٰذا ياابا فراس؟فقال:

هٰذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأتَهُ ... والبيتُ يعرفهُ والحلُّ والحَرَمُ
هٰذا ابن خيرُ عبادِ اللهِ كُلِّهم ... هٰذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العَلَمُ»[1]

وظل هٰذا النمط من المعاملة سياسة ثابتة مارسها حكام بني أمية تجاه اهل البيت، بل ان زيداً ذاته عُرِّض لهٰذا اللون من الظلم، ففي حادثة أخرىٰ يذكر أن زيداً قصد «هشام بن عبد الملك، فجعل هشام لايأذن له، فيرفع اليه القصص، فكلما رفع قصة يكتب هشام في أسفلها: ارجع الىٰ أميرك. فيقول زيد: والله لاأرجع الىٰ خالد ابداً. ثم اذن له يوماً بعد طول حبس ورقي علّيّة طويلة وأمر خادماً ان يتبعهُ بحيثُ لايراه زيد فسمعهُ يقول: والله لايحب الدنيا أحد إلاّ ذلّ»[2].

وهكذا يتضح ان ظلم الامويين لم يقتصر علىٰ عامة الجماهير، بل كان أئمة أهل البيت ﷺ، ورجالاتهم من الذين عُرِّضوا لأكثر من ذلك، باعتبارهم مركزالهدىٰ، وعَلَمُ المعارضة، لذلك ذهبت بعض الدراسات الىٰ ان السبب الأساسي في ثورة زيد (رض) هو تعريضه للإهانة في مجلس هشام، فذهب الىٰ الكوفة اساساً ليعلن ثورته لالمعالجة بعض

---

(١) اختيار معرفة الرجال/ ص١٢٩.

(٢) الكامل في التاريخ/ ج٥/ ص٢٣٢. والعلّية: هي الغرفة وربما خصصت بما كان فوق.

الدعاوي الاخرىٰ.

وفي الواقع أن اشتداد الظلم، والفساد في تلك الفترة هو الذي دفع زيد بن علي، لإعلان الثورة، فقدْ «قال ابن عساكر: قال محمد بن عميران: أبو الحسين (زيد بن علي) لما رأىٰ الارض قد طُوِّقت جوراً ورأىٰ قلة الأعوان وتخاذل الناس كانت الشهادة أحب الميتات اليه»(١).

ثانياً: الاستعداد الشعبي للثورة:

إن وجود قاعدة شعبية تمثل خطوط عمل وتنفيذ القرار الثوري شرط استراتيجي لإعلان الثورة فالقيادة التي لاترىٰ وجود قاعدة تعتمد عليها لاتفتح فوهة المواجهة مع النظام الحاكم، الاّ اذا كانت ثورة تستهدف هزَّ المجتمع، وإلفات نظره الىٰ عمق مفارقة عمل النظام عن الرسالة.

ولقد اعتمد زيد بن علي في قيامه المسلح في بداية حركته علىٰ قاعدة شعبية ظن أنها مخلصة في البيعة له، وانها ستواصل الوقوف معه علىٰ طول خط المواجهة مع النظام.

وفي الحقيقة لايمكن الشك في وجود قاعدة شعبية لثورة زيد وذلك لوفرة الأدلة والشواهد التاريخية التي عكست ذلك من خلال الروايات التي سجلت حركة زيد.

صحيح أن أغلب الافراد انسحب من الثورة إما بفعل حصرهم بالمسجد، كما سيأتي في بحث أسباب فشل الثورة، وإما لأنهم لمسوا قوة

(١) ابو الحسين زيد الشهيد/ ص٥٥.

النظام العسكري، فنكَص من المعركة.

وصحيح ان زيدا قال ذات مرة:

«فوالله لو لم يكن الا انا ويحيىٰ ابني لخرجت عليه (أي هشام) وجاهدته حتىٰ افنىٰ»[1] وقال لداود بن علي حين حاول الاخير منعه عن الخروج الىٰ الكوفة، واعلان الثورة:

«ابن عم كم نصبر لهشام؟ قال داود: نصبر يا ابا الحسين حتىٰ نجد الفرصة. فقال: ابن عم من أحبَّ الحياة ذلَّ»[2] لكن زيداً اذكىٰ من ان يقوم بثورة دون غطاء شعبي ووسائل موضوعية تسمح باحتمال الانتصار.

كما أن زيداً أذكىٰ وأتقىٰ من أن يقوم بثورةٍ لم يتأكد من شرعيتها، ومطابقتها لقرارات الامام ﷺ.

فزيد حين قام بثورته لم يتيقَّن من وجود القاعدة المذهبية والسياسية الموالية لثورتة فحسب، بل بايعه الكثير من افراد الامة علىٰ المشاركة في الثوره حتىٰ انتشرت أخبارها وظهر المؤيدون له في الموصل، وجرجان، وخراسان، والبصرة، وغيرها من المناطق.

ولكي نتناول مسألة القاعدة الشعبية لثورة زيد ينبغي ان نبحث ذلك ضمن العناوين التالية:

---

(١) انساب الاشراف (بتحقيق المحمودي) هامش/ ج٣/ ص٢٣٧.

(٢) انساب الاشراف/ ج٣/ ص٢٣٣.

١ـ الكوفة، القاعدة التاريخية للثورة:

من الثابت تاريخياً ان مدينة الكوفة تنتمي الىٰ خط أهل البيت، وقد نشأ هٰذا الولاء حين اتخذها الامام علي عليه السلام مقراً سياسياً لحكومته، ثم جعلت الاحداث التي عاشتها الكوفة بعد شهادة علي بن ابي طالب عليه السلام هٰذه المدينة قاعدة المعارضة الدائمة لنظام الحكم الاموي، فهي المدينة الوحيدة التي زخر تاريخها السياسي بالمواجهة للنظام الاموي، وهٰذه الصفة كانت ظاهرة ادركها الكثير من الحكام الامويون وسائر فئات المعارضة.

فقد جاء في كتاب لهشام:

«أما بعد، فقد عرفت حال أهل الكوفة في حبهم أهل البيت، ووضعهم أياهم في غير مواضعهم، لافتراضهم علىٰ أنفسهم طاعتهم، ونحلتهم أياهم عظيم ما هو كائن مما استأثر الله بعلمه دونهم، حتىٰ حملوه علىٰ تفريق الجماعة، والخروج علىٰ الأئمة. وقد قدم زيد بن علي علىٰ أمير المؤمنين (يقصد نفسه) في خصومة فرأىٰ رجلاً جدِلاً لسناً، حولاً قلّبا خليقاً بصَوْغِ الكلام وتمويه واجترار الرجال بحلاوة لسانه، وكثرة مخارجه في حججه، ومايدلي به عند الخصام من العلو علىٰ الخصم بالقوة المؤديه الىٰ الفلج. فعجل إشخاصه الىٰ الحجاز، ولاتدعه المقام (يقصد الكوفة) قبلك من لين لفظه وحلاوة منطقه»[١].

ويقول محمد بن علي بن عبد الله بن عباس مؤسس الحركة العباسية،

---

(١) انساب الاشراف/ ج٣/ ص٢٣٨.

في رسالة لأحد دعاته وهو يفصِّل ولاءات حواضر العالم الاسلامي:

«وأما الكوفة وسواها فشيعة علي»[1].

وفي الواقع ان الكوفة ظلت المركز الذي تأوي اليه قيادات المعارضة، حتىٰ نجحت أخيراً في إسقاط الحكم الاموي، وقيام الدولة العباسية في الكوفة بمساعدة الجيش الخراساني وكان حسب تقدير زعماء الدعوة العباسية في الكوفة ان تلك الحركة توالي أهل البيت الآ ان واقع الحال ان بني العباس استغلوا ولاء اهل الكوفة لاهل البيت عليهم السلام في اسقاط الحكم الاموي، وتشكيل الدولة الجديدة لحسابهم الخاص، فيما كان يظن اهل الكوفة أنها دولة اهل البيت.

وفي ضوء هٰذا الموقع الذي اخذته الكوفة، نرىٰ حُسنَ اختيار زيد لإعلان ثورته فيها؛ لان الكوفة هي البلد الوحيد الذي يوفر لزيد فرصة الثورة، هٰذا علىٰ القول بأنه جاء الىٰ الكوفة وبعد مجيئه صمم علىٰ الثورة، اما علىٰ القول بأن أهل الكوفة تعاهدوا مع زيد وهو خارج الكوفة، فان هٰذا ممايدعم مكانة الكوفة في الخارطة الثورية.

لقد أنتاب أهل الكوفة إحباط بعد واقعة كربلاء نتيجة موقفهم من الامام الحسين عليه السلام تمخض عنه شعور جارف بالذنب تفاعل خلال اربع سنوات التي تعقبت شهادة الامام، حتىٰ فجر ثورة التوابين ضد الحكم الاموي ولكنها فشلت في اسقاط ذلك الحكم. ومما زاد في نقمة أهل الكوفة علىٰ الحكم الاموي، مواقف الاخير ضدهم، حيث اعتاد الحكام الأمويون تولية القساة

---

(١) تاريخ الاسلام/ ج٢/ ص١٢.

والظلمة علىٰ الكوفة، أمثال الحجاج بن يوسف الذي ولاه عبد الملك الكوفة فصعد المنبر وصاح في الناس:

«يا أهل الكوفة، اني لأرىٰ رؤوساً قد أينعت، وحان قطافها، وإنّي لصاحبها، وكأني أنظر الىٰ الدماء بين العمائم واللحىٰ»(١).

«فقد رسم الامويون إذن لأنفسهم خطة خاصة لمعاملة أهل العراق، وهي خطة تقتضي بأن ينظر اليهم علىٰ أنهم اعداء، يجب معاقبتهم، وإنقاص أعطياتهم وحرمانهم من الفيء، ومن كثير مما كان يتمتع به أهل الشام، كما أنهم اتخذوا سياسة تعيين ولاة أقوياء، وإدخال القطع العسكرية السورية فيه وإقامة حكومة حربية»(٢).

وقد ولّىٰ هشام بن عبد الملك يوسفَ بنَ عمر علىٰ الكوفة، وهو الشخص الذي اشتهر بقسوته حتىٰ أنه خاطب أهل الكوفة بقوله: «ولقد سألت امير المؤمنين (يقصد هشاماً) أن يأذن لي فيكم، ولو أذن لي لقتلت مقاتليكم وسبيت ذراريكم»(٣).

وهٰذا مما يؤكد ان الكوفة صارت قلعة المعارضة والثوار ضد الحكم الأموي، واذا كان الامر كذلك، فان اختيار زيد الكوفةَ نقطةَ انطلاق يعكس مقدار وعي زيد لدور الكوفة، وقدرتها علىٰ إشعال الثورة.

---

(١) تاريخ الاسلام/ ج٢/ ص٢٩٥.

(٢)العراق في العصر الاموي/ ص١٦١.

(٣)المصدر نفسه/ ص١٧٠.

٢ـ أهل الكوفة يبايعون زيداً علىٰ الثورة:

عرفنا الكوفة بوصفها قاعدة من قواعد الثورة الرسالية، في الفترة الأموية، بقي علينا أن نعرف موقف أهل الكوفة من ثورة زيد. فهناكَ قضية يُسلِّم بها الباحثون، وقضية أخرىٰ اختُلفَ فيها، أما نقطة الوفاق، فهي الاعتقاد بأن أهل الكوفة بايعوا زيداً في البداية، وبدأوا الاستعدادات اللازمة للثورة بعد قدوم زيد.

أما نقطة الخلاف فهي: هل أهل الكوفة استدعوا زيداً من المدينة؟ أم أنه ذهب اليها باختياره؟ أم أنه ذهب الىٰ الكوفة لأن خالد بن عبد الله القسري او ابنه يزيد ادعىٰ علىٰ زيد وغيره مالاً له؟

إن المصادر التاريخية لم تتحدث عن سبب قدوم زيد الىٰ الكوفة بدقة، وهٰذا ليس مهماً ... اذ سوف نرىٰ أن أهل الكوفة بايعوا زيداً علىٰ الخروج معهُ.

وقد اتفق جميع المؤرخين علىٰ هٰذه الحقيقة، ونحن لانستبعد قيام بعض الاضطرابات داخل الكوفة أبان ولاية خالد بن عبد الله ضد الحكم الاموي، مما يفسر لنا السر في عزل خالد، وتولية يوسف بن عمر المشهور بقسوته، ويفسر السر في قدوم زيد.

إن هٰذه الحقائق، والمؤشرات كافية في إثبات صفة الثورية للكوفة في ظل العهد الأُموي، ولكن توجد، إضافة الىٰ ذلك، أدلة كافية علىٰ ان أهل الكوفة بايعواً زيداً، ولم يكتفوا فقط بالموقف التقليدي العام لهٰذا البلد، بل

تحركوا إيجابياً على طريق اعلان الثورة .

والسؤال المطروح حول حجم التوافق بين زيد وأهل الكوفة على الخروج ضد النظام؟

هنا أيضاً روايات متعددة في تصوير ذلك الاتفاق، نستعرض بعضها ثم نستخرج النتيجة العامة .

«قالوا: ولحق زيداً بعد شخوصه من الكوفة قوم من الشيعة، فقالوا له: (ارجع معنا الى الكوفة الى الحق (فـ) إنا نرجو أن يكون (الداعي الى الحق هو) المنصور، وان يكون هذا الزمان زمان هلاك بني أمية. فقال له داوُد، حين أراد المضيَّ الى الكوفة، وقد أطَّلع على أمره: ياابا الحسين، إن أهل الكوفة أصحاب علي وأصحاب الحسين فاحذرهم. فلم يقبل (منه زيد)، ورجع الى الكوفة مستتراً. فقال له محمد بن عمر بن علي: قد صدقكَ ابنُ عمك (يقصد داود) فلا تخرج. فلما أبى مضى الى الكوفة وتركَهُ»[1].

وهناكَ رواية نقلها البلاذري تصرِّح بأن زيداً كان في الكوفة قبل إقالة خالد بن عبد الله، وان قضية وديعة خالد لزيد لم تكن هي التي دفعت يوسف بن عمر للإخطار بطلب زيد من المدينة، لفصل دعوى خالد. فقد جاء في الرواية:

«كان زيد بن علي (رض) مع خالد بن عبد الله القسري في أصحابه بالكوفة، وخالد والي العراق، وكان داود بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله تعالى عنهم مع خالد ايضاً. فلما وُلِّي يوسف بن عمر الثقفي

(١) انساب الاشراف/ ج٣/ ص٢٣٦ .

العراق كان بلغه مكان خالد وبلغه أن خالداً أودع زيد بن علي بن الحسين رضي الله تعالىٰ عنهم، وداود بن علي بن عبد الله بن العباس مالاً فحلفا علىٰ ذلك فقبل يمينهما، وانصرفا الىٰ مكة، فلقيهما نصر بن خزيمة العبسي فدعاهما الىٰ الخروج، فاجابه زيد بن علي (رض)، فقال داود لزيد: يا ابن عم، لاتفعل فإنهم يغرونك ويسلمونك»[١].

وهٰذه الرواية صريحة في أن زيداً كان في الكوفة في أيام خالد، واذا صدقت هٰذه الرواية فان من الطبيعي أن يقوم زيد خلال وجوده في الكوفة بتنسيق الأمور، والإعداد للثورة. ولكن هنالك روايات أخرىٰ معارضة، فلايمكن للباحث القطع بمضمون رواية الانساب.

«قال ابو مخنف: وأقبلت الشيعة وغيرهم من المحكمة (وهم طائفة من الناس) يختلفون اليه ويبايعونه، حتىٰ أحصىٰ ديوانه خمسة عشر الف رجل من أهل الكوفة خاصة. سوىٰ أهل المدائن والبصرة وواسط والموصل وخراسان والريّ وجرجان والجزيرة. وفي رواية اخرىٰ ان ديوانه أحصىٰ أربعين الفاً»[٢].

ومن الثابت ان الذين بايعوا زيداً، أو الذين اتفقوا معه علىٰ الجهاد بمدد او بمساعدة، ليس فقط من صفوف الشيعة، بل كان غيرهم يفعل ذلك، بل كان كبار فقهاء السنة الىٰ جانب زيد. وفيما يلي جانب من الروايات التي تشير الىٰ ذلك:

---

(١) انساب الاشراف/ ج٣/ ص٢٣٣.

(٢)زيد الشهيد/ ص٦٣.

«قدم زيد بن أبي زياد، مولىٰ بني هاشم صاحب عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ، الرَّقةَ، يدعو الناس الىٰ بيعة زيد بن علي، وكان من دعاة زيد بن علي، وأجابه الناس من أهل الرقة وكنت فيمن أجابه».

و«كتب زيد بن علي الىٰ هلال بن حباب وهو يومئذٍ قاضي المدائن فاجابه وبايع له».

«حدثني شريك قال: اني لجالس عند الاعمش أنا وعمرو بن سعيد أخو سفيان بن سعيد الثوريّ، اذ جاءنا عثمان بن عمير أبو اليقظان الفقيه، فجلس الىٰ الاعمش فقال: أخلنا فان لنا اليك حاجة، فقال: وما خطبكم؟! هٰذا شريك وهٰذا عمرو بن سعيد. اذكر حاجتك، فقال: أرسلني اليك زيد بن علي أدعوكَ الىٰ نصرته والجهاد معهُ، وهو مَنْ عرفت. قال: أجل، ما أعرفني بفضله! أقرئاه مني السلام وقولا له: يقول لك الاعمش: لستُ اثقُ لكَ ـ جعلت فداكَ ـ بالناس، ولو أنا وجدنا لكَ ثلاث مئة رجل أثق بهم لغيرنا لكَ جوانبها».

و«قال ابو حنيفة حين سمع بعزم او بخروج زيد: من يأتي زيداً في هٰذا الشأن من فقهاء الناس؟.

قال عمرو بن الفضل: قلت: سليمة بن كهيل، ويزيد ابن أبي زياد، وهارون بن سعد، وهاشم بن البريد، وابو هاشم الرماني والحجاج بن دينار، وغيرهم.

فقال لي: قل لزيد: لك عندي معونة وقوة علىٰ جهاد عدوك، فاستعن بها أنت وأصحابك في الكراع والسلاح، ثم بعث ذلك معي إلىٰ زيد فأخذه زيد».

«حدثنا عبد الله بن مروان بن معاوية قال: سمعت محمد بن جعفر في دار الإمارة يقول: رحم الله أبا حنيفة، لقد تحققت مودته لنا في نصرته زيد بن علي»[1].

ومن مجموع هٰذه الروايات نستخلص الحقائق التالية:

١ـ كانت الكوفة مركز الثورة وكان عدد من المؤيدين لها قد انتشر في مناطق اخرىٰ كالموصل، وجرجان، والبصرة.

٢ـ ان حركة زيد ضمت إلىٰ صفها مؤيدين من الشيعة، في البداية علىٰ أقل تقدير، كم ضمت فئات من سائر المذاهب الإسلامية.

٣ـ أنها ضمت شخصيات علوية، كمحمد بن عبد الله وعبد الله بن علي بن الحسين.

٤ـ وسوف نتناول موقف الإمام الصادق ﷺ من ثورة زيد، ونرىٰ أن موقفه ﷺ كان إيجابياً من فكرة الثورة، ولكنه ﷺ كان يريدها ثورة ظافرة لامغامرة، قد يكتب لها النجاح وقد يكتب لها الفشل.

٥ـ إن كبار فقهاء العامة كانوا يقفون إلىٰ صف زيد من خلال الإفتاء بجواز الخروج معه، ومدّه بالمؤن والسلاح وماشاكل ذلك.

وعلىٰ هٰذا الأساس يمكن الخروج بنتيجة محددة، هي وجود القاعدة الشعبية الضرورية للثورة، وأن زيداً باشر عملية توظيف تلك القاعدة في الكوفة لصالح جهاده.

بيّد أن قضية الثورة ليست فقط في وجود قاعدة المؤيدين، بل تكمن في

---

(١) مقاتل الطالبيين/ ص٩٩.

مدىٰ اتساعها، ومدىٰ قوتها وقدرتها علىٰ الثبات، وحدود الطاعة للقيادة، وبعض هٰذه الامور لم تتوافر في اتباع زيد، كما سوف نرىٰ في بحث أسباب فشل الثورة. الاّ أننا نريد أن نقول هنا إن حركة زيد لم تكن حركة فردية، وقراره لم يكن قرار فرد خرج علىٰ النظام، بل يمثل تياراً سياسياً قوياً ضد النظام داخل المجتمع الاسلامي. فالمجتمع الاسلامي، وبشكل خاص شخصياته المتميزة، لم يخضع للحكم الاموي، بل كان يفجّر في وجهه بين فترة واخرىٰ ثورة عسىٰ ان يكتب لها النجاح.

ثالثاً: إمكانات وقُدرات زَيد في قيادة الثورة:

لقد درسنا في بداية البحث بعض جوانب شخصية زيد، ونريد هنا معرفة الجوانب الاخلاقية في شخصية زيد ذات الصلة بالثورة، والجوانب المتصلة بالعلاقات السياسية والاجتماعية.

ولابد من ان نشير الىٰ حقيقة مهمة، تتعلق بالفرق بين قيادة ثورة مسلّحة، وبين قيادة الامة، فإمامُ الأمة تقع علىٰ عاتقه مسؤولية القيام بالثورة عند توفر الشروط التي يراها لازمة، أما قيادة الثورة المسلحة، فليس لدينا نصوص واضحة المعنىٰ صحيحة السند تحصر قيادة الثورة بالامام، وتجعل الامام هو الانسان الوحيد الذي له صلاحية القيام بالثورة من وجهة شرعية.

إن قيادة الثورة اذا قام بها الامام، فانها تندرج ضمن مسؤولياته في قيادة الامة، أما القائد الذي يقوم بالثورة المسلحة، فلايشترط فيه ان يتمتع بخصائص الامام، نعم لابد من توافر صفات عديدة في شخص قائد الثورة

وأسلوبها، ولابد من إذن القيادة الشرعية (الإمام من أهل البيت ﷺ)، اما حصر القيام بالثورة بشخص الامام، فهٰذا لم يثبت شرعاً.

كما ان قيادة الثورة المسلحة نوع من ممارسة الامر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومن الواضح ان هٰذه المسؤولية، بهٰذه اللحاظ، تقع علىٰ عاتق الجميع، الاان قيادة الجهاد المسلح ضد النظام الظالم، لايمكن لايّ فرد في المجتمع الاسلامي ممارستُهُ، بل هي مسؤولية تقع علىٰ عاتق العارفين القادرين الذين تتوافر فيهم عناصر القيام بالمسؤولية الاجتماعية، علىٰ وجهها الصحيح.

وعلىٰ هٰذا الاساس لابد ان نفرّق بين منصب الامام، وبين مسؤولية قيادة ثورة مسلحة، فان المنصب الاول لايقوم باعبائه الاّ اشخاص منصوص عليهم، ولايجوز لايّ فرد عزلهم عن منصبهم، وممارسة مسؤولية الامامة. أما قيادة الثورة، فانها مسؤولية أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، ولكن ليست هي كالأمر بالصلاة، والنهي عن شرب الخمر مثلاً، حيث يستطيع أيُّ فرد القيام بها في المجتمع الاسلامي، بل ان مسؤولية قيادة الثورة يجب ان يتولاها الافراد العارفون القادرون. وأجد من الضروري ادراج حديث بهٰذا المعنى؛ لكي تتضح الفكرة بشكل جليّ، يقول الحر العاملي في وسائل الشيعة:

«عن مسعدة بن صدقة، عن ابي عبد الله ﷺ قال: سمعتهُ يقول وسئل[1] عن الامر المعروف والنهي عن المنكر أواجب هو علىٰ الأمة جميعاً؟ فقال: لا. فقيل له: ولِمَ؟ قلا: انما هو علىٰ القويّ المطاع العالم بالمعروف من

---

(١) مرجع الضمير هنا يعود للامام الصادق ﷺ.

المنكر، لاعلىٰ الضعيف الذي لايهتدي سبيلا الىٰ أيٍّ من أيٍّ يقول من الحق الىٰ الباطلِ، والدليل علىٰ ذلك كتاب الله عز وجل قوله: ﴿وَلْتَكُنْ منكمْ أُمّةٌ يدعونَ الىٰ الخيرِ ويأمُرون بالمعروفِ وينهَوْنَ عن المُنكرِ﴾ . فهٰذا خاص غير عام. كما قال الله عز وجل: ﴿ومِنْ قومِ موسىٰ أُمّةٌ يهدُونَ بالحقِّ وبه يَعْدلُون﴾ ولم يقل: علىٰ أمة موسىٰ، ولاعلىٰ كل قومه، وهم يومئذ أمم مختلفة، والأمة واحد فصاعداً، كما قال الله عز وجل: ﴿إنَّ إبراهيمَ كانَ أُمّةً قانتاً لله﴾، يقول: مطيعاً لله عز وجل.

ولس علىٰ من يعلم ذلك في هٰذه المهنة من حرج، إذا كان لاقوة له ولاعدد ولاطاعة ...»[1].

فهٰذه الرواية توضح ان هناك امراً بمعروف ونهياً عن منكر لايجب الاّ علىٰ أفراد محددين. نعم ان واجب المساعدة في القيام بالثورة علىٰ الطاغوت يقع علىٰ جميع أفراد المجتمع، ولكن الذي يقوم فعلاً بقيادة الثورة، والعمل الثوري، انما هو مَنْ يمتلك صفات رسالية تمكِّنه من القيام بتلك المسؤولية. وهٰذا بالطبع لايعني سقوط وجوب الثورة عن المجتمع، انما يعني أن اعمالاً معينة من أعمال الثورة تسقط عن المجتمع، اذا قام بها مجموعة من الواعين الذين يملكون القدرة علىٰ مواجهةً الطاغوت مواجهة فاعلة. ولكن سائر الأعمال الثورية لابد من ممارستها من قبل المجتمع.

ومن هنا يتبين الفرق بين مسؤولية قيادة الثورة ضد الطاغوت، وبين مسؤولية قيادة الامة في جميع الحالات، وان قيادة الثورة قد يمارسها الامام

(١) وسائل الشيعة/ ج١١/ ص٤٠٠/ ح١.

في حالات معينة، وقد يحدد افراداً معينين للقيام بها، وقد يدعم، ويحتضن الثورة بصورة من الصور. اما الفرد الذي يباشر الثورة، وهو لايمثل الامام الشرعي المنصوص عليه، فانه لايصير أماماً بمجرد القيام بالثورة التي هي في الواقع ممارسة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وعلىٰ هٰذا الاساس نعتقد ان خصائص القائد لثورة ضد حاكم فاسق هي:

١ ـ معرفتهُ العميقة بالرسالة.

٢ ـ معرفتهُ بنظام الحكم القائم، وحجم الخطر الذي يشكله تجاه الرسالة.

٣ ـ قدرته الشخصية، وامتلاكه أخلاقية رسالية تتيح له القيام بعمل عسكري يراه نافعاً للامة.

٤ ـ مكانتهُ الاجتماعية في وسط الامة.

٥ ـ علاقاته السياسية، والاجتماعية التي توفر له فرصة القيام بالثورة.

ونقف هنا علىٰ خصائص شخصيّة زيد (رض)؛ لنلمس أهليته للقيام بالعمل العسكري:

١ ـ معرفتهُ بالرسالة:

معرفة زيد بالاسلام بفروعه وقواعده أمرٌ مفروغ منه، كيف لا وهو تربىٰ في احضان اخيه الاكبر الامام الباقر عليه السلام، بعد استشهاد ابيه زين العابدين عليه السلام. وعده الشيخ الطوسي من اصحاب الامام الصادق عليه السلام[1] وفيه أشارة الىٰ ان زيد قد اخذ العلم من الامام الصادق عليه السلام.

(١) رجال الطوسي/ ص١٩٥.

وقد «قال عمر بن موسىٰ الرحبي الزيدي في كتاب قراءة زيد: هٰذه القراءة سمعتها من زيد بن علي بن الحسين، وما رأيت أعلم بكتاب الله منه. وعن السيد الجليل بهاء الدين علي بن عبد الحميد النيلي النجفي رضوان الله عليه، في كتابه الانوار المضيئة، أنه كان عين اخوته بعد أبي جعفر عليه السلام، وأخصهم ورعاً، وفقهاً، وسخاءً وشجاعة، وعلماً، وزهداً، وكان يُدعىٰ حليف القرآن»[1].

وهناك شهادة من الامام الصادق عليه السلام تدل علىٰ ان زيداً كان عارفاً باحكام الله وكان انساناً ربانياً، «فعن فضيل الرسان انه قال: دخلت علىٰ أبي عبد الله بعد ماقتل زيد، فأُدخِلْتُ بيتاً في جوف بيت فقال لي (أي ابو عبد الله عليه السلام): يافضيل، قتل عمي زيد؟ قلتُ: نعم، جعلت فداك. قال: رحمه الله. أما إنه كان مؤمناً وكان عارفاً وكان عالماً وكان صدوقاً»[2].

«وفي المناقب: سأل زيدي الشيخ المفيد وأراد الفتنة فقال: بأي شيء أستجزت انكار إِمامة زيد فقال: قد ظننت عليّ ظناً باطلاً، وقولي في زيد لايخالفني فيه أحد من الزيدية، فقال: وما مذهبك فيه قال: أُثبت في امامته ما تثبتهُ الزيدية وأنفي عنه من ذلك ماتنفيه أقول: كان اماماً في العلم والزهد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنفي عنه الامامة الموجبة لصاحبها العصمة والنص والمعجز»[3].

---

(١) زيد الشهيد/ ص٣٥ـ٣٦.

(٢) المصدر السابق/ ص١٤.

(٣) المصدر السابق/ ص٣٢.

وهٰذا المقدار يكفي في البرهنة علىٰ علو درجات زيد في العلم، مما يتيح له فهم، ووعي الاحداث السياسية بخلفياتها، ونتائجها وبالتالي القدرة علىٰ الحركه والمبادرة.

٢ـ معرفة زيد بنظام الحكم الاموي:

عاش زيد في المدينة، ولمسَ الظلم الاموي من خلال فعل السياسة الاموية في تمزيق المجتمع، وفي حرمان افراد المجتمع من حقوقهم، بل ان زيداً كونه فرداً من أهل البيت عُرِّض للتنكيل بشكل مباشر، وعاش مأساة كربلاء من خلال آثارها العميقة في حياة أهل البيت عليهم السلام، كما أن آثار واقعة الحرة، وما فعل فيها مسرف بن عقبة من انتهاكات للمقدسات ظلت شاهداً بارزاً علىٰ حجم ابتعاد الحاكم الاموي عن الاسلام وقيمه.

من هنا كان الثأر للامام الحسين عليه السلام يشكل أهم دوافع ثورته المباركة. فزيد استوعب حركة النظام السياسي علىٰ امتداد تأريخها، وعاش بوجدانه الأحداث الرهيبة التي ارتكبها النظام بحق أهل البيت، وبحق المجتمع الاسلامي بشكل عام، فهو وليد المعاناة. فمن عمقها ولد زيد، وفي احضانها عاش ونما.

واذا كان زيد قد ترعرع في أحضان هٰذه الأحداث الجسام، وفي أرجاء تلك المحنة، فإنه كان أكثر الناس وعياً للنظام القائم، وفهماً لطبيعته الدموية.

وفي الواقع، أن حركة الاحداث، وما استورثه من محن وعاش من آلام في ظل أبيه وأخيه الاكبر، كل هٰذه الامور كفيلة بصناعة زيد قائداً ثورياً

رفد خط الامام الحسين ﷺ بزخم ثوري ساهم في الحفاظ علىٰ مشعل الثورة العلوية امام الثوار وأصحاب الحس الاسلامي الثوري.

٣ـ قدرتهُ ونضجه الشخصي:

لقد عاش زيد في رحاب أهل البيت، فكانت تسكب في روحه جلال الايمان، وروعة الزهد، وعظمة التقوىٰ، ووقار العلم فجاءت شخصيتهُ متوازنة وناضجة. ويكفي أن نعرف انه كان وكيلاً عن ولد الحسين ﷺ في بعض الدعاوىٰ التي وقعت في البيت العلوي. وهٰذا يدل علىٰ حجم اعتماد الامام الباقر عليه في هٰذه الامور.

٤ ـ مكانته الاجتماعية في وسط الأمة:

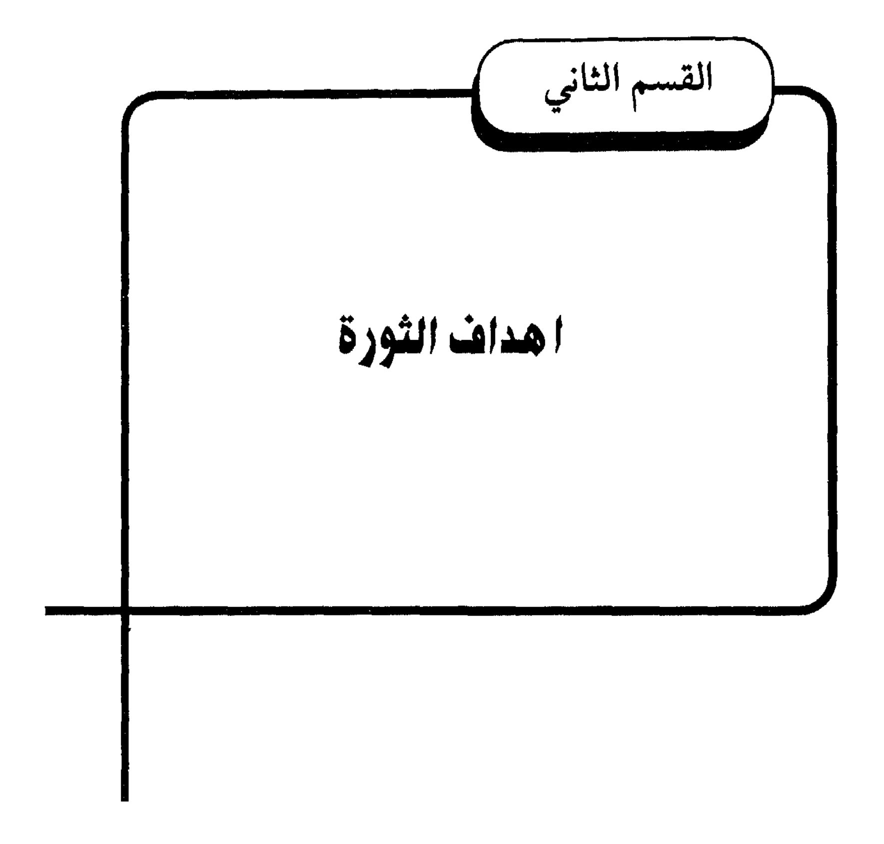
من الواضح ان لزيد مكانة كبيرة في قلوب الأمة، فحتىٰ الولاة كانوا يبدون له الاحترام وذلك لما تحلىٰ به من صفات الخير والفضيلة، ولما يتمتع به من مرونة اجتماعية في اللقاء مع الاشخاص الذين يمثلون تيارات فكرية متباينة، والحوار معها، فضلاً عن كونه ينتمي الىٰ آل البيت مما سبب كثرة انصاره والمؤيدين لثورته اثناء الاعداد لها.

٥ ـ علاقاته السياسية والاجتماعية:

هٰذه الميزة مكنت زيداً في ان يستقطب الكثير من افراد المجتمع الاسلامي، حتىٰ من الذين لاينتمون الىٰ الشيعة في حركته المناوئة للحكم الاموي حيث

كانت له علاقات عامة مع بعض رجالات المذاهب الاخرىٰ، ممّا جعل لديه القدرة علىٰ أستيعاب المجاهدين من أجل تحقيق اهدافه.

إن هٰذه الامور شكلت عاملاً مساعداً للقيام بالثورة، ولايمكن التركيز علىٰ عنصر معين، وأبرازه بوصفه دافعاً اساسياً في جذب الناس وتفجير الثورة.


القسم الثاني
اهداف الثورة



عندما نقلب أوراق التاريخ الاسلامي نجد ان أئمة اهل البيت قد أبعدوا عن مقامهم السياسي الذي جعلهم الله فيه، ولكنهم لم يرضخوا للأمر الواقع، وحاولوا انطلاقاً من مسؤولياتهم الشرعية، معالجة الموقف في بعض الاحيان من خلال منح الشرعية للعمل العسكري ضد النظام بقيادة الثوريين من أهل البيت.

وهٰذا بالذات ما حصل حين سمح الامام الصادق عليه السلام لزيد بن علي برفع السلاح ضد هشام بن عبد الملك؛ ولأن حركة زيد ساهمت في إظهار موقع أهل البيت في الحياة السياسية للأمة، فلابد من دراسة أهداف الثورة، ودورها في تقويض نظام الحكم الاموي، وموقعها من جهاد الشيعة علىٰ امتداد التاريخ الاسلامي.

فما هي أهداف ثورة زيد بن علي (رض)؟ وهل تحقق شيء منها؟

هنالك فارق بين ثورة زيد وبين حركات اخرىٰ قامت بعمل عسكري كحركة يزيد بن المهلب، وحركة عبدالله بن حر، وهو ان زيداً حدد اهدافاً اسلامية، وتحركَ من أجل الوصول اليها. فليست هي انطلاقة عشوائية،

وأنما كـانت ثورة سعت نحـو تحقيق أهداف ثابتة اهمـها تحقيق حـاكمية الله، وتصحيح المسـار السيـاسي المنحرف للحكم القـائم رغم احتفـاظه ببعض الظواهر الإسـلامـية في حين ان تلك الثـورات انطلقت لتحقـيق مصـالح شخصيه.

ويمكن تلخيص اهداف ثورة زيد بن علي (رض) بالنقاط التالية:

اولاً: الثأر لدم الامام الحسين بن علي عليه السلام.

ثانياً: تحقيق العدل الاجتماعي.

ثالثاً: الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفيما يلي نتناول هذه الاهداف بالتفصيل:

اولاً: الثأر لدم الامام الحسين بن علي عليه السلام:

لانريد هنا أن نـوضح حـجم تأثيـر شـهـادة الامـام الحـسـين عليه السلام في دفع حركـة التاريخ الثوري، وإنمـا نتناولها بقدر مـا تتصل بثـورة زيد. وعليه لابد من تناول الجوانب التاريخية لشهادة الامام الحسين عليه السلام، ومن ثَمَّ نشوء فكرة الثأر لدمه الزكي. كمـا سنتناول موقف أهل الكوفـة من الأئمة الاوائل لأهل البيت، لنفـهم جيداً ذلك الموقف، ومـواقع القيادة الشـرعية المتعلقـة بموضوع البحث.

إن حركات عـديدة تفجرت في الساحـة الاسلامية تحت شـعار (الثأر لدم الحسين عليه السلام)، ووجـوب معـاقـبـة جـمـيع المشـاركـين في جـريمـة قـتل الحسين عليه السلام. ولـكن ثورة زيد كانـت من أهـم تلك الثـورات التي استهـدفت

الثار لدم الحسين عليه السلام، ولكن ليس من المسؤولين المباشرين عن الجريمة وانما من خلال الاطاحة بالحكم الاموي الذي صنع مأساة كربلاء.

فهٰذا الحكم هو الذي ارتكب مجزرة كربلاء من خلال أشخاص يزيد، وعبيد الله، وعمر بن سعد، فالقضاء علىٰ هٰذا النظام، الذي يحمل وزر الجريمة، يشكل انتصاراً لدم الامام المظلوم.

انناحين نتأمل التاريخ بعد واقعة كربلاء، نجد فكرة ثورية ملأت ضمائر وأفئدة المؤمنين الصادقين، وهي فكرةِ الثار لدم الامام الحسين عليه السلام.

فقد صنعت فكرة الثار صوراً ثورية رائعة في (عين الوردة)، وفي غيرها من نقاط العالم الاسلامي، كما غذّت نمطاً من السلوك الثوري في حياة المجتمع الاسلامي، فقد كانت تملأ الوجدان الشعبي، وتمّونه بالوقود الثوري وكانت تشكل هدفاً عاماً للثورات بعد شهادة الامام الحسين عليه السلام. لذلك فإن دراسة أية ثورة في ذلك العصر، لابد ان تتناول فكرة (الثار) هٰذه، وكيف صارت نمطاً من أنماط السلوك الاجتماعي، وهدفاً يسعىٰ اليه الثوار. لذلك لابد من تسليط الضوء علىٰ فكرة الثار لدم الامام، الذي يتم من خلاله دراسة هدف رئيس من اهداف ثورة زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب عليه السلام.

ويتم ذلك ضمن عنوانين:

الاول: الاساس الوجداني والسياسي لشعار «يالثارات الحسين».

الثاني: تطور التنفيذ العملي لفكرة ثارات الحسين.

الاساس الوجداني والسياسي لشعار (يالثارات الحسين) :

لقد استهدفت ثورة الامام الحسين عليه السلام الاطاحة بالنظام الاموي، وتحقيق حاكميَّة الله، الاّ ان شهادة الامام الحسين عليه السلام بتلك الصورة المفجعة هزت المجتمع الاسلامي هزاً عميقاً، وبعثت في ضميره مشاعر اليقظة والحزن والألم.

من هنا وجد أئمة أهل البيت عليهم السلام ان الأمة بحاجة الىٰ ان تستوعب شهادة الامام الحسين اولاً، ثم تنطلق للاخذ بثأره ثانياً، ثم تحقيق حاكمية الله ثالثاً. ولكن كيف يمكن إدخال فكرة مظلومية الامام، وفكرة الثأر لدمه؟

إن المطلوب في المرحلة الاولىٰ هو تحويل شهادة الامام الحسين عليه السلام الىٰ قضية مقدسة عند أبناء المجتمع الاسلامي، وهي كذلك بطبيعة الحال، وليست القداسة فيها مختلفة لأغراض سياسية، ثم رفدها بمشاعر تنبع من عمق الوجدان الشعبي، وليتكوَّن علىٰ أساسها الولاء المتين للامام، ويتولد التبرّؤ من الظالم الذي يحكم بغير ما أنزل الله.

وهٰذه المهمة قام بها أهل البيت، وخصوصاً الأئمة الأربعة الذين تولَّوا الإمامة بعد الامام الحسين عليه السلام، وهم السجاد، والباقر، والصادق، والكاظم عليهم السلام.

إحياء صور الثورة:

إن اهل البيت عليهم السلام عملوا كثيراً من اجل كشف حجم النكسة التي عصفت بالأمة، وجعل مأساة كربلاء مركز إشعاع للحس الثوري، والولاء لأهل البيت. فينبغي الأشارة الىٰ أسلوب الأئمة عليهم السلام في تكوين الأساس

الوجداني والشعبي لشعار «يالثارات الحسين».

لقد وُرد في كتب التاريخ أن الامام السجاد ﷺ وفي أول خطاب له بعد رجوعه الىٰ المدينة قال: «أيها الناس، فأي رجالات منكم يسرون بعد قتله، أم أي فؤاد لايحزن من أجله، أم أية عين منكم تحبس دمعها، وتضنُّ عن انهمالها فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار بأمواجهاوالسماوات بأركانها، والأرض بأرجائها، والاشجار بأغصانها، والحيتان في لجج البحار، والملائكة المقربون، وأهل السموات أجمعون. أيها الناس، أي قلب لاينصدع لقتله، أم أي فؤاد لايحن اليه، أم أي سمع يسمع بهٰذه الثلمة التي ثلمت في الاسلام ولايُصم؟»[1].

ويقول الامام الصادق حاكياً عن حال الامام السجاد ﷺ:

«إن جدي علي بن الحسين بكىٰ علىٰ ابيه عشرين سنة، وما وضع بين يديه طعام الا بكىٰ. وعذله بعض مواليه فقال له: اني أخاف عليك أن تكون من الهالكين، فقال له الامام برفق: ياهٰذا، إنما أشكو بثّي وحزني الىٰ الله، وأعلم من الله ما لاتعلمون. إن يعقوب نبيٌّ فغيّبَ الله عنهُ واحداً من أولاده، وعنده أثنا عشر ولداً، وهو يعلم انه حيّ. فبكىٰ عليه حتىٰ ابيضت عيناه من الحزن. واني نظرت الىٰ أبي وأخوتي وعمومتي وصحبي مقتولين حولي، فكيف ينقضي حزني؟ وإني لاأذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة»[2].

«وعن ابي عمارة المنشد قال: ما ذكر الحسين بن علي ﷺ عند ابي عبد

(١) حياة الامام الحسين بن علي ﷺ/ ج٣/ ص٤٢٥.

(٢) المصدر نفسه/ ج٣/ ص٤٢٧.

الله جعفر بن محمد عليه السلام في يوم قط فرؤي أبو عبد الله ذلك اليوم مبتسماً قط الىٰ الليل»[1].

هٰذه الروايات تكشف عن حجم المعاناة التي مرّ بها أئمة أهل البيت عليهم السلام في شهادة الحسين عليه السلام، وعن حرصهم علىٰ غرس الحزن علىٰ مصابه في قلوب أبناء المجتمع الاسلامي، وطرح مأساة كربلاء في الشعر، وفي السلوك.

وبفعل هٰذه الارشادات، ظلت مأساة كربلاء حية في ضمير المجتمع. تتلاقفها الأجيال، وتنقل تفاصيلها الرهيبة. فصارت أساساً عاطفياً حاراً يوقد في ضمير الفرد حباً مقدساً لأهل البيت عليهم السلام، ويتفجّر بغضاً للحكم الاموي ورموزه وأشخاصه، علىٰ امتداد تاريخ حكمهم ووجودهم السياسي.

إن توجيهات أهل البيت عليهم السلام لم تستهدف إحياء مأساة الحسين عليه السلام في ذاكرة الأجيال في إطار الحزن والبكاء فقط، وإنما الهدف الآخر الذي يكمن خلف تلك المظاهر هو كشف مظلومية أهل البيت عليهم السلام في حرمانهم حقّهم في قيادة الأمة، وبيان ضرورة الولاء لهم، وطاعتهم، وان رفض الولاء لهم يعني السقوط في أحضان الجاهلية الاموية، والابتعاد عن رسالة الله.

شعار (يا لثارات الحسين):

إن اهتمام الأئمة بضرورة إِحياء قضية الامام الحسين عليه السلام شكل المناخ الملائم لنمو فكرة الاقتصاص من قتلته، أو ماظهر في التاريخ الاسلامي

---

(١) ابن قولويه/ كامل الزيارات/. ص١٠٠.

باسم «الثأر للحسين».

لقد استطاع أهل البيت عليهم السلام ان يجعلوا من شهادة الامام الحسين عليه السلام مأساة شعبية تموّن العاطفة بالحس الثوري، وتزود الإرادة بالعزم والقوة، وأن يجعلوا من شهادته عليه السلام أساساً سياسياً، ونهجاً ثورياً في تشخيص الظالمين، وفي بيان صاحب الحق الشرعي في الامامة، وهٰذا هو مانسميه بالاساس الشعبي والسياسي لشعار: «يالثارات الحسين».

إن ذلك الاساس أعطىٰ ثماره المرجوة، وانبعثت من وحيه ثورات عديدة. فلابد ان نرىٰ الاشكال العملية لتنفيذ شعار «يالثارات الحسين» في الساحة السياسية.

تطور التنفيذ العملي لفكرة ثارات الحسين عليه السلام

إن فكرة الثأر للحسين عليه السلام تطورت بسرعة، وتمخضت عنها حركات ثورية تسعىٰ لملاحقة قتلة الامام الحسين عليه السلام والقضاء عليهم. بيد أن الوجه العمليَّ لفكرة الثار لم يبرز ضمن أُسلوب واحد، وإنما تطور مع مرور الزمن حتىٰ بلغ ذروته من الوعي والعمل علىٰ يد زيد بن علي (رض).

ثلاثة أشكال لفكرة الثأر:

إن الحركة العملية لفكرة الثأر اتخذت ثلاثة أساليب. نستعرضها ثم نشير الىٰ الشكل الذي تم علىٰ يد زيد بن علي (رض).

الاسلوب الاول: ثورة التوابين

وهٰذا الاسلوب ظهر مباشرة بعد شهادة الامام الحسين عليه السلام وتبناه كبار الشيعة الموالين للامام الحسين عليه السلام حيث اعتقدوا أن ذنب قتله عليه السلام لايغتفر الاّ بالقيام بحركة استشهاديّة ضد النظام الاموي، ولكي نصوّر شكل هٰذه الحركة لابدمن اقتطاف بعض الخطب لقادة الحركة. فقد خطب سليمان بن صُرّد الخزاعي قائد ثورة التوابين في مؤتمر لقادة تلك الحركة قائلاً: «أما بعدُ فانّي لخائف الاّ يكون أُخّرنا الىٰ هٰذا الدهر الذي نكدت فيه المعيشة وعظمت فيه الرزية وشمل فيه الجورُ أولي الفضل من هٰذه الشيعة لما هو خير، إنا كنا نمد أعناقنا الىٰ قدوم آل بيت نبينا صلى الله عليه وآله، نمنّيهم النصر ونحثهم علىٰ القدوم، فلما قدموا وثبنا وعجزنا وأذهلنا وتربصنا حتىٰ قُتل فينا ولد نبينا وسلالته وعصارته وبضعة من لحمه ودمه اذ جعل يستصرخ ويسأل النصف فلا يُعطىٰ، اتخذه الفاسقون غرضاً للنبل ودريئة للرماح حتىٰ أقصدوه وعَدَوْاعليه فسلبوه. ألا انهضوا، فقد سخط عليكم ربكم ولاترجعوا الىٰ الحلائل والابناء حتىٰ يرضىٰ الله، والله ما أظنه راضياً دون أن تناجزوا من قتله، ألا لاتهابوا الموت فما هابه أحدٌ قطُّ الا ذلَّ، وكونوا كبني اسرائيل اذ قال لهم نبيهم:

﴿إنّكمْ ظَلمتُمْ أنفسكُمْ باتّخاذِكُمُ العِجْلَ فتوبوا إلىٰ بارئِكُمْ فاقتُلوا أنفُسَكُمْ ذلكم خيرٌ لكم عند بارِئكُمْ﴾[1]

(١) البقرة / ٥٤.

ففعلوا وجَثوْا علىٰ الركب ومدُّوا الاعناق حين علموا أنّهم لايُنجيهم من عظيم الذنب الاّ القتل، فكيف بكم لودعيتم الىٰ مادعوا! أحِدُّوا السيوف وركِّبوا الأسنة:

﴿وأعِدُّوالهُم ما استَطَعتُمْ من قُوةٍ ومن رِبَاطِ الخيلِ﴾[1] حتىٰ تدعوا وتستنفروا[2].

وكتب في رسالة الىٰ سعد بن حذيفة في المدائن «... ان أولياء الله من إخوانكم وشيعة آل نبيكم نظروا لأنفسهم فيما أبتُلوا به من أمر ابن بنت نبيهم، الذي دُعي فأجاب، ودعا فلم يُجَبْ، وأراد الرجعة فحُبِسَ، وسأل الأمان فمُنِعَ، وترك الناس فلم يتركوه، وعدَوْا عليه فقتلوه، ثم سلبوه وجرَّدوه ظلماً وعدواناً وغرّة بالله وجهلاً وبعبر الله مايعملون، والىٰ الله مايرجعون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. فلما نظر إخوانكم، وتدّبروا عواقب ما استقبلوا، رأوا أن قد خطأوا بخذلان الزكي الطيب، وإسلامه وترك مواساته والنصر له خطأً كبيراً. ليس لهم منه مخرج ولاتوبة دون قتل قاتليه أو قتلهم حتىٰ تفنىٰ علىٰ ذلك أرواحهم ... وقد رأينا أن ندعوكم الىٰ هٰذا الامر، الذي أراد الله به أخوانكم فيما يزعمون، ويظهرون لنا أنهم يتوبون، وأنكم جدراء بتطلاب الفضل، والتماس، الأجر، والتوبة الىٰ ربكم من الذنب. ولو كان في ذلك حز الرقاب، وقتل الاولاد، واستيفاء الاموال وهلاك العشائر»[3].

---

(١) الانفال / ٦٠.

(٢) الكامل في التأريخ/ج٤ ص ١٦٠.

(٣) تأريخ الامم والملوك/ ج٧/ ص٥٠.

وخطب عبيد الله بن عبد الله المري وهو احد دعاة سليمان بن صرد الخزاعي:

«إن الله لم يجعل لقاتله (أي لقاتل الحسين عليه السلام) ولا لخاذله معذرة، الآ إن يناصح لله في التوبة، فيجاهد القاتلين، وينابذ الفاسقين. فعسىٰ الله عند ذلك ان يقبل التوبة، ويقبل العثرة. إنا ندعوكم الىٰ كتاب الله، وسنة نبيكم، والطلب بدماء أهل بيته، والىٰ جهاد المحلين والمارقين. فإن قُتلنا فما عند الله خير للابرار، وإن ظهرنا رددنا هٰذا الامر الىٰ أهل بيت نبينا. قال (رجل من الحضور) وكان يعيد هٰذا الكلام علينا في كل يوم حتىٰ حفظه عامتنا»[1].

وبعد ان اتسعَ نطاق حركة التوابين، وهاجت الكوفة سألَ (عبد الله بن يزيد)، والي الكوفة من قبل عبدالله بن الزبير: «حدثني، ماذا يريد الناس؟ قال: يذكر الناس أنهم يطلبون بدم الحسين بن علي».

وكان المختار بن ابي عبيد يعلق علىٰ حركة التوابين:

«أتدرون مايريد هٰذا؟ (يعني سليمان بن صُرّد)، انما يريد ان يخرج فيقتل نفسهُ ويقتلكم»[2].

هٰذه النصوص تكشف بكل وضوح أبعاد هٰذا اللون من التحرك، الذي اتصلَ بشهادة الحسين عليه السلام، ونما في أحضان الكوفة. وقد ارتكز في هدفه علىٰ طلب التوبة من الذنب العظيم، من خلال العمل العسكري الاستشهادي.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك/ ج٧/ ص٥٢.

(٢)المصدر نفسه/ ص٥٣.

صحيح أن فيه تلويحاً الىٰ أهداف سياسية، كما في خطاب عبيدالله بن عبد الله، ولكن الذي يبدو من خطب ورسائل سليمان، ومن تعليق المختار علىٰ حركة سليمان أن الهدف المركزي من الحركة هو التكفير عن الذنب، وإعلان التوبة.

ورغم أن مضمون الحركة هو طلب التوبة، الاّ أنه أتخذ مساراً سياسياً يصب في خدمة الهدف الذي قامت من أجله ثورة الحسين عليه السلام، وهو تحقيق حاكمية الله.

لانريد هنا تقييم حركة التوابين، بل نقول: إنها كانت شكلاً من اشكال الحركات التي تفجرت تحت شعار «يالثارات الحسين». وهٰذا القدار يكفي لبيان صلة الحركة بذلك الشعار الثوري، وبيان أن هدف الثار للحسين عليه السلام كان محوراً رئيساً في حركة معارضة الحكم الأموي، ولكن صور تلك الحركة تطوَّر مع مرور الزمن.

٢ـ الاسلوب الثاني: حركة المختار:

وهٰذا الاسلوب يتمثل في القضاء علىٰ الأشخاص الذين شاركوا في واقعة كربلاء، الىٰ جانب عمر بن سعد. وقد ظهر بعد فترة قصيرة من شهادة الامام الحسين عليه السلام، علىٰ يد المختار الثقفي. وتحدد هٰذا الهدف علىٰ لسان قادة الحركة قبل واقعة (عين الوردة). وهٰذا يعني أن المختار شهد حركة سليمان بن صُرّد، ولكنه لم ينضم الىٰ صفوفها، وآثر قيادة حركة اخرىٰ ضد الامويين، بعد أن يقوم سليمان بن صرد الخزاعي

بإضعاف القوات الأموية، وإنهاكها.

وكان الهدف الاساسي المعلن من حركة المختار هو القضاء علىٰ قتلة الامام الحسين عليه السلام. فكان شعار الثأر للحسين هو المحور الاساسي الذي يوجه حركة المختار. «فقد قتل في يوم واحد مئتين وثمانين رجلاً، ولم يفلت أحد من قادتهم وزعمائهم، فقتل عبيد الله بن زياد، وعمر بن سعد، مع ولده حفص، وقتل شمر بن ذي الجوشن، وقتل قيس بن الاشعث، والحصين بن نمير، وشبث بن ربعي، وغيرهم من قتلة الحسين عليه السلام»[١].

وقد فرّ بعض قتلة الحسين عليه السلام الىٰ المدينة، والىٰ الشام. وكانتا تحت نفوذ ابن الزبير، وابن مروان.

فقد جاء أحدهم الىٰ عبد الملك وقال له: «اني هربتُ اليك من العراق. فصاحَ عبد الملك بن مروان: كذبت، ليس لنا هربت، ولكن هربت من دم الحسين، وخفت علىٰ دمك فلجأت إلينا»[٢]

وقد استطاع المختار أن يقضي علىٰ الكثير من الشخصيات التي شاركت في قتل الامام الحسين عليه السلام. وهٰذا من أهم الفوارق بين حركة المختار وحركة سليمان، فالأخيرلم يوفق في القضاء علىٰ الرموز التي اضطلعت بالجريمة التاريخية، ولكن المختار نجحَ في تتبعهم والقضاء عليهم.

وفي الحقيقة، أن المختاراستفادَ من تجربة سليمان؛ لأنه أشرف عليها، وشاهد نهايتها، فسعىٰ في تطوير حركته بما يخدم هدفَهُ.

---

(١) حياة الامام الحسين/ج ٣/ ص٤٥٦.

(٢)المصدر نفسه/ ص٤٥٦.

من هنا يمكن القول أن تطوراً ملحوظاً عاشته حركة الثأر للحسين عليه السلام في ظل المختار، حيث استطاعت التخلص من الذين شاركوا في واقعة كربلاء.

٣ـ الاسلوب الثالث: ثورة زيد بن علي:

وهو أسلوب مواجهة النظام، والسعي لإسقاطه من خلال الثورة في إحدىٰ حواضر العالم الاسلامي، ثم توسيع نطاقها للاطاحة بالحكم الاموي.

وهٰذاالاسلوب تم علىٰ يد زيد بن علي (رض) حيث كانت حركته تستهدف الثأر للامام الحسين عليه السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، بَيْدَ أن طريقة تجسيد ذلك يختلف عنه في حركة المختار، وفي حركة سليمان بن صُرَد الخزاعي. فقد كتب الشيخ المفيد في إرشاده: «وكان زيد بن علي بن الحسين عليه السلام عين إخوته بعد أبي جعفر عليه السلام، وأفضلهم، وكان عابداً، ورعاً، فقيهاً، سخياً، شجاعاً. وظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر ويطلب بثارات الحسين». «وكان سبب خروج زيد بن علي رضي الله عنه بعد الذىٰ ذكرناه من غرض: الطلب بدم الحسين عليه السلام»[1].

فالثأر لدم الامام الحسين عليه السلام كان هدفاً أساسياً من اهداف ثورة زيد، ولكن ليس بالاسلوب الذي مارستْهُ حركات سبقت، بل بطريقة تناسب مستوىٰ قيادتها، ونوعية رجالاتها، وظرفها الزماني.

---

(١) الارشاد/ ص٣٦٨.

فهي حركة استهدفت القضاء علىٰ النظام الاموي الحاكم، فحاولت السيطرة علىٰ الكوفة لتكون نقطة انطلاق أولية للحركة، باتجاه إسقاط الشام.

واذا كانت ثورة زيد جعلت الكوفة مركزاً لنشاطها، ومسرحاً لعملها، فإنها ضمت في صفوفها أنصاراً، ومؤيدين من مختلف مناطق العالم الاسلامي. كما تقدّم في ضمن فقرة «القاعدة الشعبية للثورة».

ثانياً: تحقيق العدل الاجتماعي:

الهدف الثاني من أهداف ثورة زيد هو: تحقيق العدل الاجتماعي. وبيان هٰذا الهدف يقتضي تسليط الضوء علىٰ سياسة الحكم الأموي، وكشف أبعاد الظلم الاجتماعي الذي مارسَهُ أقطاب ذلك الحكم ضد أبناء الأمة الأسلامية، وذلك ضمن النقاط التالية:

اولاً: الاعتماد علىٰ البيت الاموي.

ثانياً: حرمان أصحاب الكفاءات المخلصة من فرص العمل.

ثالثاً: بث التفرقة، والصراع بين القبائل العربية.

رابعاً: تمزيق القبائل وتقسيم أفراد المجتمع الاسلامي الىٰ طبقات.

خامساً: تكثيف الضرائب المالية.

اولاً: الاعتماد علىٰ البيت الأموي في الحكم:

يعتمد النظام الإسلامي، في توزيع المسؤوليات علىٰ الأفراد، اسسَ

الإيمان والكفاءة، ومنشأ هٰذا الميل السياسي قوله تعالىٰ: ﴿إنَّ خيرَ مَنْ استَأجرْتَ القَويُّ الأمينُ﴾(١) وقوله: ﴿قالَ اجعَلْني علىٰ خَزائِنِ الأرْضِ إنّي حَفيظٌ عَليمٌ﴾(٢).

ولانريد هنا شرح أُصول وأفكار، ومرتكزات هٰذه السياسة، وتقييمها؛ لأن هٰذا خارج عن بحثنا. إنما نقول:

إن هٰذه السياسة هي المنهج والطريقة العامة للنظام الاسلامي، التي تميز بها في أصوله وتطبيقاته.

ولكن هٰذه السياسة انحسرت عن ميدان العمل في ظل الحكام الامويين، فقد اعتاد هٰؤلاء الحكام علىٰ إناطة المسؤوليات الرئيسة بالاشخاص الذين ينحدرون من البيت الاموي، بغض النظر عن اسس الايمان، والعلم، والكفاءة في تحمل المسؤولية. ومن تلك الممارسات المنحرفة عملية احتكار الخلافة لابناء الحاكم الاموي. واعتماد الحكام في قيادة الجيش، وفي تولي الامصار، والولايات الاسلامية، وفي القضاء علىٰ أشخاص ينتمون الىٰ البيت الأموي. ففي أيام عبد الملك «كان اعتماده علىٰ رجالات من أُسرته، يمحضونه الودّ، ويمحضهم الثقة، من أهم مظاهر سياسته في الإدارة الداخلية لدولته. فقد اعتمد عبد الملك علىٰ أخيه بشر بن مروان في ولاية العراق، الكوفة اولاً ثم البصرة معها بعد ذلك، وذلك لما كان لبشر بن مروان من دور في تشجيعه علىٰ حرب ابن الزبير. كما أنه

(١) القصص /٢٦.

(٢) يوسف /٥٥.

أوكل الىٰ يحيىٰ بن الحكم بن ابي العاص ولاية المدينة من العام ٧٥ هـ وحتىٰ عام ٨١هـ».

«وفي الميدان العسكري كان اعتماد عبدالملك علىٰ أفراد أُسرته، مظهراً من مظاهر سياسته هٰذه، علىٰ الرغم من أنه لم يشارك الاّ في بعض الحملات الخارجية. وكان أشهر أفَراد أُسرته الذين أُسندت اليهم مثل هٰذه الأعمال، هم أخوه محمد بن مروان الذي غزا وهزم الروم سنة (٧٣، ٧٥، ٧٦ هـ). كما أناط به عبد الملك القيام ببعض الأعمال العسكرية في أرمينية في الاعوام (٨٢، ٨٣) هـ. وابنه الوليد بن عبد الملك، الذي كان أول عمل عسكري يقوم به هو قيادة جيش الصائفة، الموجهة ضد الروم في العام (٧٧هـ)، وفي العامين (٧٩، ٨٠) للهجرة، كما يحدثنا الطبري وخليفة بن خياط».

«ولما استتب مُلكُ عبدالملك، كانت ولاية الحج إما لواليه علىٰ هٰذه المدينة، أو لنفسه أولابنه سليمان بن عبدالملك»[1].

وهٰذه السياسة ظلت نهجاً ثابتاً للبيت الاموي أثناء توليهم مقاليد الحكم. وقد رسمنا نموذجاً منها أثناء حكم عبد الملك. ومن المؤكد أن اختيار الاشخاص الذين ينحدرون من الاسرة الاموية لم يكن علىٰ أساس تمتعهم بكفاءات أفضل من سائر أفراد المجتمع الاسلامي في تولِّي الولاية، أو القيادة، بدليل أنهم لايتمتعون بخصائص تؤهلهم لتلك المناصب، إنما تم اختيارهم علىٰ أساس انتمائهم للبيت الأموي، وفي ضوء ولائهم للحاكم الأموي.

---

(١) يراجع: النزاع بين أفراد البيت الاموي/ ص١٠٦.

ان هٰذه السياسة التي طبعت حكم البيت الاموي تنطوي علىٰ الظلم للآخرين، إذ إن تسليط فرد عليهم غير مؤهل تضييع لحقوقهم، وظلم لأصحاب المؤهلات الذين ينبغي أن يمارسوا المسؤوليات المتطابقة مع أمكاناتهم، وهٰذا ماسنراه في الفقرة التالية:

ثانياً: حرمان اصحاب الكفاءات المخلصة من فرص العمل:

وعلىٰ امتداد سياسة احتكار بني امية مناصب الدولة، أُبعِدَ أصحابُ الكفاءات السياسية والعسكرية التي لاتدين بالولاء للحاكم، أولاتمت للبيت الحاكم بصلة.

وفي إطار هٰذه السياسة نلاحظ أن الوليد بن عبد الملك نحىٰ عمر بن عبدالعزيز عن ولاية المدينة سنة ٩٣هـ رغم أنه كان من بني امية، كما عزل عبد الله بن عبد الملك عن مصر. وذلك بسبب إحساس هٰؤلاء بالخوف من توسع نفوذ الوالي، رغم أنه من افراد اسرته!.

وهٰذا يكشف عن العقلية الضيقة التي تسيطر علىٰ أعمدة البيت الأموي الحاكم. تلك العقلية التي تخشىٰ حتىٰ من توسع نفوذ أحد الولاة المحسوبين علىٰ جبهة الحاكم. هٰذه السياسة هي التي حسمت مصير عمرو بن سعيد الأشدق الأموي، ومصير موسىٰ بن نصير وأولاده، وغيرهم من داخل البيت الأموي أو خارجه، وحكمت عليهم بالفناء.

ثالثاً: بث التفرقة والصراع بين القبائل العربية:

وفي ظل الحكم الأموي، نشأت سياسة غريبة مزقت المجتمع الأسلامي الىٰ مجموعة من القبائل المتنازعة، وهي سياسة انتخاب حفنة من الولاة والقادة العسكريين من قبيلة معينة (قيسية مثلاً)، وإبعاد افراد القبائل الأخرىٰ.

إن مبدأ توظيف الحس القبلي لأغراض سياسية، انتهجه معاوية بن أبي سفيان. حيث تزوج ميسون أم يزيد التي تنتسب الىٰ بني كلب، لغرض جذب هٰذه القبيلة الىٰ جانبه في تصفية خصومه من زعماء قبيلة قيس وظل هٰذا الاسلوب سياسة ثابتة للحكام الأمويين تارة بشكل بارز وأخرى بشكل خفيّ.

«وفي مطلع خلافة يزيد (بن عبد الملك) عاد الصراع القبلي ليطل برأسه من جديد، ولتبدو نصرة يزيد للقيسية في أكثر من مناسبة. ولم يكن تعيين عمر بن هبيرة الفزاري علىٰ العراقيين الاّ خطوة واضحة في مناصرته للقيسية، فعمر الفزاري قيسي متعصب لقيسيته، لم يألُ جهداً فىٰ الإساءة الىٰ قبائل اليمن، مما أثارَ تعيينه حفيظة الكثيرين. والخطوة الثانية ليزيد في مناصرة القيسية هي قضاؤهُ علىٰ المهالبة، حيث اعتبر القيسيون نصره علىٰ آل المهلب هو نصرٌ لهم»[1].

وفي حكم هشام بن عبد الملك: «ساء هشاماً ما كان للقيسيين من

(١) النزاع بين افرادالبيت الاموي!/ ص١٢٦.

سلطان زمن أخيه يزيد، ممّا حملهُ علىٰ أن يبدي ميلاً لليمنية. فما إن آلت الخلافة اليه حتىٰ عزل ابن هبيرة عن العراقيين، وولآها لخالد بن عبد الله القسري. ومهما كان الانتماء القبلي القيسي له فلم يسع القيسيين الا أن يعتبروه عدواً»[١].

وقد«لزم الوليد بن يزيد بن عبد الملك جانب المضريين؛ لان أمهُ كانت منهم، وأقصىٰ العنصر اليمني، فأثار هٰذا عوامل السخط والغضب في نفوس اليمنية عليه، بعد أن قتل زعيمهم، وأقصاهم من مناصب الدولة، فأخذوا يُدبرون المكائد لقتله، وسخط عليه عامة الناس. فانتهز اليمنيون هٰذه الفرصة، وثارا عليه. وانضم اليهم يزيد بن الوليد بن عبدالملك، الذىٰ كان يظهر التنسك والتواضع. وقتلوه في جمادىٰ الآخرة سنة (١٢٦هـ) وبايعوا يزيد.

«ولم يَضعْ قتل الوليد حداً للنزاع الذي قام بين أفراد البيت الأموي، الذي ظهر بين العنصرين اليمني والمضري. بل ساعدَ علىٰ تفاقم ذلك النزاع، فإن يزيد لم يكد يعتلي عرش الخلافة حتىٰ أخذ بسيرة أسلافه، فأنضم الىٰ اليمنيين ولزم جانبهم. وأخذ يولي العمال منهم؛ لانهم ساعدوه علىٰ الوصول الىٰ الخلافة.

وأطلق اليمنيون يدهم في الإساءة الىٰ المضريين، الذين ثارت ثائرتهم، فأشعلوا نار الثورة في حمص، وانضم اليهم يزيد بن خالد بن معاوية وغيره من أفراد البيت الأموي. كما ثاروا في فلسطين بزعامة يزيد بن سليمان بن

---

(١) النزاع بين أفراد البيت الأموي/ص١٣٠.

عبد الملك. وحذا أهل الأردن حذوهم بزعامة محمد بن عبد الملك، غير أن يزيد بن الوليد استطاع بمساعدة اليمنيين أن يتغلب علىٰ هٰؤلاء جميعاً، فأخضعهم وزج بزعمائهم من أهل بيته في أعماق السجون».

أما مروان فقد «سار سيرة سلفه فتعصّب للقيسية، وطالب اليمنية بدم الوليد الذي قتلوهُ انتقاماً لخالد بن عبد الله القسري. فانتفض أهل حمص بزعامة ثابت بن نعيم وانضم اليهم أهل تدمر برئاسة الاصبغ بن ذؤالة الكلبي»[1]. وفي الواقع أن الحكم الأموي برع في ممارسة السياسة القبلية، وفي توظيف أحقادها لخدمة الحاكم، أو لتصفية خصومه. ومن ثَمَّ مارسَ بحق الأمة والمجتمع الاسلامي لوناً من أشد ألوان الظلم الاجتماعي.

رابعاً: تمزيق المجتمع الاسلامي الىٰ طبقات متفاوتة:

لقد مارس الحكم الاموي أسلوباً سياسياً منحرفاً وهو تقسيم أفراد المجتمع الاسلامي الىٰ طبقات. لكلٍّ منها امتيازات خاصة، ويقف علىٰ رأس هٰذه الطبقة حفنة الولاة في البلاد، ثم طبقة الأشراف، ثم طبقة عامة الناس، وهي الطبقة السفلىٰ.

والهدف من تقسيم الناس الىٰ هٰذه الفئات هو حرمان الطبقات العامة، وحصر السلطة والثروة في إطار المقربين لكسب ولائهم للحكم الأموي.

وبرزت في ظل سياسة اختيار الأشراف والخاصة، طبقة من المجتمع تتميز بنفوذها الواسع، وثروتها العريضة. وهٰذه الطبقة لاينحدر أفرادها من

(١) تاريخ الاسلام/ الجزء الاول: ./ ص٣٣٩.

قبيلة معينة، وإنما يقع الاختيار عليها بحسب عمق ولائها للحاكم، أو بسبب قوة نفوذها. الأمر الذي يدفع الحاكم لاستغلال ذلك النفوذ لحسابه الخاص.

ان التاريخ يحدثنا عن يزيد بن عبد الملك الذي غرق في عشق حبابة وسلاّمة وأنه قالَ لإحداهن ذات يوم: «ويحكِ، أما لك قرابة، أو أحد يحسن أن أصطنعهُ أو أسدي اليه معروفاً؟ قالت: يا أمير المؤمنين، اما قرابة فلا، ولكن في المدينة ثلاث نفر كانوا أصدقاء لمولاتي، كنت احب أن ينالهم شيء مما صرتُ اليه. فكتب الىٰ عامله بالمدينة في إشخاصهم، وأن يعطي كل رجل منهم عشرة آلاف درهم»[1].

وفي رسالة لهشام بن عبد الملك لوالي الكوفة أثناء ظهور بوادر ثورة زيد جاء فيها وهو يوضح سياسة مواجهة الثورة:

«فادع إليك أشراف المصر، وأوعدهم العقوبة في الابشار واستصفاء الاموال، فإن من له عقد أو عهد سيبطئ عنه ولايخف معهُ الا الرعاع وأهل السواد ومن تنهضهُ الحاجة استلذاذاً للفتنة»[2].

وتمخضت سياسة انتخاب الأشراف عن تميز حفنة من المجتمع، تتركز في يديها الثروة، والسلطة، والنفوذ، عن عامة المجتمع الذي يتلوىٰ تحت سياط الظلم الاجتماعي، وتنقل روايات التاريخ: «ان عبيدة بن عبد الرحمن حين خرج من أفريقيا، كان فيما خرج به من العبيد والإماء ومن الجواري

(١) ثورة زيد بن علي/ ص٧٧.

(٢) المصدر نفسه/ ص٧٥.

سبع مئة، وغير ذلك من الخصيان والخيل والدواب والذهب والفضة»[١]

وكذلك تنقل: «ان خالد بن عبد الله القسري اتسعت ثروته، وحفر الأنهار حتىٰ بلغت غلته عشرين الف الف. منها نهر خالد، وكان يغل خمسة الاف الف. وكان كثيراً ما يقول: انني والله مظلوم، وما تحت قدمي من شيء الا وهو لي»[٢].

وفي مقابل هٰذه الطبقة تعمَّدَ الحكام الامويون خلق طبقات اجتماعية من شرائح مختلفة فقيرة محرومة، عن طريق سحب فرص الحياة الكريمة من أمامها، وإذلالها بالجوع، والفقر، لكي تظل دوماً خاضعة للنظام الأموي، وسياساته الظالمة.

خامساً: تكثيف الضرائب المالية:

وقد كثف الحكم الأموي الضرائب بالشكل الذي اثقل كاهل عامة أبناء المجتمع الإسلامي، خصوصاً الموالي، وعمقت الفقر والحاجة في المجتمع.

«فعمر بن عبدالله المرادي والي طنجة (١١٦ ـ ١٢٢ هـ)، هو الآخر قد أساءَ السيرة، وتعدىٰ في الصدقات والعشر، وأرادَ تخميس البربر، وزعم أنه في فيء المسلمين فقاموا عليه فقتلوهُ»[٣].

«أما عبد اللهبن الحجّاب فقد زاد علىٰ أقباط مصر قيراطاً علىٰ كل دينار،

---

(١) ثورة زيد/ ص٩٣.

(٢) تاريخ الامم والملوك/ ج٨/ ص٢٥٥.

(٣) ثورة زيد/ ص٩٣.

بعد حصوله علىٰ موافقة هشام، فقام القبط في وجه هٰذه الاجراءات الجديدة، وأعلنوا الثورة فحاربهم ابن الحجّاب وقضىٰ علىٰ اول ثورة لهم»[١].

هٰذه بعض ملامح السلوك الظالم للبيت الأموي في الساحة الاجتماعية، والسياسية، التي دفعت زيد بن علي (رض) باتجاه الثورة لتحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس، ولذلك أرسل زيد رسل ثورته الىٰ بعض المناطق، بعدَ ان زودهم بكتب خاصة، يصف فيها جور بني أمية، وسوء سيرتهم، ويحضهم علىٰ الجهاد ويدعوهم اليه وقال: «لاتقولوا خرجنا غضباً لكم ولكن قولوا غضباً للهودينه»[٢]

ولذلك ايضاً كان زيد يأخذ البيعة علىٰ أساس: «الدعوة الىٰ كتاب الله، وسنة نبيه، وجهاد الظالمين، والدفاع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، وقَسْمِ هٰذا الفيء بين أهله بالسواء، ورد المظالم، وأقفال المَجَمر، ونصرة أهل البيت علىٰ من نصب لهم وجهل حقهم»[٣].

فزيد حاول بثورته وضع حدٍ للظلم الأموي، وتحقيق العدالة الاجتماعية بين جميع أبناء الأمة، والقضاء علىٰ مظاهر القبلية والطبقية. فهي ثورة تستند علىٰ أساس اجتماعي متين، وعلىٰ أساس شرعي، (وهٰذا ماسنراه في الفقرة التالية). ولم تكن مجرد حركة عفوية انطلقت نتيجة الإهانة التي وجهها هشام بن عبد الملك لزيد بن علي في مجلسه في الشام.

---

(١) ثورة زيد بن علي/ ص٩٢.

(٢)المصدر نفسه/ ص١١١.

(٣)المصدر نفسه/ ص١٠٥.

ثالثاً: الامر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهٰذا هو الهدف الثالث من أهداف ثورة زيد بن علي(رض)، فأن زيداً كان يقوم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالسيف، الذي يُعد ذروة في درجات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولكن أيجوز استعمال السلاح، والتصدي للحاكم الفاسق، فيكون عمل زيد أمراً مشروعاً، أم لايجوز استعمال السلاح مهما يكن الحال، فتكون ثوره زيد خارجة عن دائرة الجواز الشرعي؟

والجواب نلخصهُ أولاً قبل استعراض الروايات الواردة في الامر بالمعروف والنهي، وفي الجهاد وندرس ثورة زيد علىٰ اساسها:

إن الذي يلاحظ لسان الروايات الواردة في مسألة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يقطع بأن عملية التصدي للظالم أمرٌ مفروغ من جوازهِ في لسان أهل البيت عليهم السلام. إنما الحديث عن بعض الشروط، التي لاتتصل بأصل الجواز. فالثورة حين تكون علىٰ يد رجل مثل أبي مسلم الخراساني، فإن الموقف الشرعي يختلف عمّا اذا جاءت علىٰ يد زيد بن علي. مثلاً.

إن مجموع الروايات التي عالجت الامر بالمعروف، والجهاد، إنما تسعىٰ الىٰ ضمان بعض الشروط في عملية الامر بالمعروف. ففي الامر بالمعروف الفردي ينظر بعضها الىٰ إحراز الأمن للآمر، والتأثير في المأمور. أما علىٰ المستوىٰ العام فإنها تنظر الىٰ مواجهة المنكر المتفشي والذي يخشىٰ منه علىٰ وجود الاسلام، حتىٰ لو أستدعىٰ ذلك شهادة الآمر بالمعروف.

وعلىٰ كل حال لابد من استعراض الروايات ثم نرىٰ اتجاهها، ومغزىٰ معارضة الائمة في بعض الروايات لزيد، علىٰ أننا سندرس موقف الامام الصادق عليه السلام من ثورة زيد (رض) في فصول قادمة إن شاء الله.

١ ـ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر:

«عن مسعدة بن صدقة عن ابي عبد الله عليه السلام: قال: سمعتهُ يقول، وسئل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أواجب هو علىٰ الأمة جميعاً؟ فقال: لا. فقيل له: ولِمَ؟ قال: إنما هو علىٰ القوي المطاع العالم بالمعروف من المنكر، لاعلىٰ الضعيف الذي لايهتدي سبيلاً الىٰ أي من أي يقول من الحق الىٰ الباطل. والدليل علىٰ ذلك كتاب الله عز وجل قوله: ﴿وَلْتَكنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدعُونَ إلىٰ الخَيرِ ويَأمُرونَ بالمعرُوفِ وَيَنْهونَ عَنِ المُنكَرِ﴾، فهٰذا خاص غير عام. كما قال الله عز وجل: ﴿وَمِنْ قَومِ مُوسىٰ أُمّةٌ يهدُونَ بالحقِّ وبه يَعدِلُونَ﴾ ولم يقل علىٰ امة موسىٰ ولاعلىٰ كل قومه. وهم يومئذ أُمم مختلفة. والأمة واحد فصاعداً، كما قال الله عز وجل: ﴿إنّ إبْراهيمَ كانَ أُمّةً قانِتاً للهِ﴾، يقول: مطيعاً لله عز وجل. وليس علىٰ من يعلم ذلك في هٰذه الهدنة من حرج، إذ كان لاقوة له ولا عدد ولاطاعة. قال مسعدة: وسمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول وسئُل عن الحديث الذي جاء عن النبي صلى الله عليه وآله: إن أفضل الجهاد كلمه عدل عند أمام جائر، ما معناهُ؟ قال: هٰذا علىٰ أن يأمرهُ بعد معرفته، وهو مع ذلك يقبل منه وإلاّ فلا»[١].

(١) وسائل الشيعة/ ج١١/ ص٤٠٠/ ح١.

«ورویٰ ابن جرير الطبري في تاريخه عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ الفقيه، قال: اني سمعت علياً عليه السلام يقول يوم لقينا اهل الشام: أيها المؤمنون، إنه من رأىٰ عدواناً يعمل به، ومنكراً يُدعىٰ اليه، فانكره بقلبه فقد سلم وبرئ، ومن أنكره بلسانه فقد أُجر، وهو أفضل من صاحبه. ومن أنكرهُ بالسيف لتكون كلمة الله ألعليا، وكلمة الظالمين السفلىٰ فذلك الذي أصاب سبيل الهدىٰ، وقام علىٰ الطريق، ونور في قلبه اليقين»[1].

وفي خطبة من خطب الامام الحسين عليه السلام قال فيها:

«ايها الناس، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأىٰ سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله، ناكثاً لعهده، مخالفاً لسنة رسوله، يعمل في عباده بالاثم والعدوان، فلم يغير ما عليه بفعل ولاقول، كان حقاً علىٰ الله أن يدخل مدخله»[2].

و«في مجمع البيان عن علي عليه السلام في قوله تعالىٰ:

﴿وَمن النّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ أبتغاءَ مَرضاةِ الله﴾ أن المراد بالآية الرجل يقتل علىٰ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر»[3].

هٰذه نماذج من الروايات التي تناولت الامر بالمعروف، وتوجد روايات خاصة في قضية خروج زيد سوف ندرسها ايضاً ولكن ينبغي الاشارة إلى

(١) وسائل الشيعة/ ج١١/ أبواب الامر والنهي/ باب٣/ حديث٨.

(٢) ثورة الحسين/ ص١٨.

(٣) وسائل الشيعة/ ج١١/ أبواب جهاد العدو/ باب ٦١/ ح٢، وهنالك روايات اخرىٰ واردة في البحار ج ٦٠/ باب٣٦ ص٢١٦ ح٣٧، وكذلك ماوردَ في غيبة النعماني ص١٤٥.

الروايات العامة:

إن تلك الروايات، وخصوصاً خطبة الامام الحسين ﷺ، توجب الخروج بالسلاح علىٰ السلطان الظالم، الذي يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان.

أما رواية مسعدة بن صدقة، وهي الرواية الاولىٰ، وهي صحيحة سنداً، فهي تتضمن شرطاً للأمر بالمعروف، وهو ان يكون الشخص الآمر بالمعروف عالماً بما يأمر به مطاعاً من قبل الآخرين، وحسب نص الرواية: «علىٰ القوي المطاع العالم بالمعروف من المنكر لا علىٰ الضعيف».

ومن الواضح ان لفظتي القوة والطاعة قد يدلّان علىٰ أرادة الامام، أو القائد الخروج بالسلاح، وإلاّ فإن الأمر بالمعروف العادي، كما لو أمرفردٌ فرداً آخر بالكف عن الظلم، لايحتاج الىٰ قوة، بل لايحتاج الىٰ اتباع لطاعته في ذلك، إذ إن المكلف مسؤول عن توجيه الامر بالمعروف وليس مسؤولاً عن مدىٰ استجابة المأمور له مع وجوداحتمال التأثير قبل الامر أو النهي.

فأصل الخروج بالسلاح علىٰ السلطان الظالم أشارت اليه الروايات، التي هي في صدد التعرض للتفاصيل المرتبطة بهٰذه الوظيفة كتحديد الشروط الزمانية والمكانية، والذاتية، ومقدار تحققها، وكذلك حجم الخطر والمنكر المرتكب.

فقد تجتمع الشروط اللازمة للآمر، لكونه رجل علم وقوة، كما نصت رواية أبي عبد الله الاولىٰ، مع ارتفاع الموانع، وقد لاتجتمع هٰذه الشروط، أو يختل بعضها، كما لو عدم ذلك الرجل القوي العالم فلا يجب الامر

بالمعروف بالسلاح.

وتوجد رواية في المقام يتمنىٰ فيها الامام الصادق عليه السلام وجود مثل هٰذا الرجل الآمر بالمعروف القوي، حيث قال فيها: «ولَوَدَدْتُ أن الخارجي من آل محمد خرج وعليَّ نفقة عياله»[١].

وفي هٰذا الضوء يمكن تناول أحاديث التقية، فإن في طائفة منها إشارة الىٰ أن التقية إنما تكون بسبب قوة السلطان والخوف من بطشه أو لمصلحة كبيرة، حيث وردت طائفة من روايات التقية تحكي حال أبي طالب، حينما لم يعلن إسلامَهُ من اجل الدفاع عن الرسول. وطائفة اخرىٰ من الروايات أشارت الىٰ قوة نظام الحكم التي يعدم معها الأمل بانتصار الثورة. وللمثال نذكر نموذجاً:

«عن عبد الله بن عطا: قال: قلتُ لأبي جعفر عليه السلام: رجلان من أهل الكوفة أُخذا فقيل لهما: ابرءآ من أمير المؤمنين عليه السلام، فبرئ واحد منهم وأبىٰ الآخر، فخُلِّيَ سبيلُ الذي برئ، وقُتِلَ الآخر. فقال: أما الذي برئ فرجلٌ فقيه في دينه، وأما الذي لم يبرأ فرجلٌ تعجَّلَ الىٰ الجنة»[٢].

وروايات كثيرة علىٰ هٰذا المستوىٰ تكشف ان المناخ السياسي، الذي شُرعت فيه التقية، هو أجواء السلطان الظالم الذي لايتورع عن سفك الدماء.

وقد يفترض حاكماً ضعيفاً لايستطيع مواجهة ثورة مسلحة، ولكن لايصار أيضاً الىٰ حمل السلاح مع عدم وجود الموالين والعدة اللازمة

(١) وسائل الشيعة/ ج١١/ ابواب جهاد العدو/ باب ١٣/ حديث ١٢.

(٢) المصدر نفسه/ ابواب الامر بالمعروف والنهي/ باب٢٩ حديث٤.

للانتصار. بَيْدَ أن المشكلة تكمن في ضعف غالبيّة الروايات باستثناء رواية مسعدة، ومن ثَمَّ لا يمكن اعتبارها دليلاً شرعيا علىٰ جواز الخروج بالسلاح. إلاّ اذا قلنا بأن مجموع الأخبار يفيد اطمئنان بمشروعية الخروج، ولو مع إضافة فعل الامام الحسين ﷺ، وإمضاء الامامين الصادق والكاظم ﷺ لثورتي زيد بن علي، والحسين بن علي صاحب فخ.

٢ـ روايات الجهاد بالسلاح:

وبالإضافة الىٰ الروايات التي تناولت مسألة الخروج علىٰ الظالم باعتباره أمراً بالمعروف، ونهياً عن المنكر، توجد طائفة أُخرىٰ من الروايات، تصدت لهٰذه القضية بعنوان جهاد العدو، ومحاربة السلطان الظالم. ولابد من استعراض بعض هٰذه الروايات:

١ ـ قال أبو عبد الله ﷺ بعد أن ذكر الخارجين علىٰ السلطان من العلويين «لا أزال أنا وشيعتي بخير ماخرج الخارجي من آل محمد. ولوددت أن الخارجي من آل محمد خرج وعليَّ نفقة عياله»[١].

٢ـ قول الامام الكاظم للحسين بن علي صاحب فخ:

«ياابن عم، إنك مقتول فأجِدِ الضراب فإن القوم فساق، يظهرون إيماناً ويسرون شركاً. وإنا لله وإنا اليه راجعون، أحتسبكم عند الله من عصابة»[٢].

---

(١) وسائل الشيعة/ ج١١/ ابواب جهاد العدو/ باب ١٣ حديث ١٢. والرواية ضعيفة بالإرسال.

(٢) الكفاح المسلح في الاسلام/ ص٩٧.

٣ـ عن إبراهيم بن إسحاق القطان قال:

«سمعتُ الحسين بن علي، ويحيىٰ ابن عبد الله يقولان: ماخرجنا حتىٰ شاورنا أهل بيتنا، وشاورنا موسىٰ بن جعفر فأمرنا بالخروج»(١).

٤ـ إبراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي في كتاب الغارات قال: خطب علي عليه السلام: «الىٰ أن ذكرَ الفتن بعدهُ الىٰ ان قام فقام رجل فقال ياأمير المؤمنين مايُصنع في ذلك الزمان؟ قال انظروا أهل بيت نبيكم، فإن لبدوا فالبدوا وإن استصرخوكم فانصروهم تؤجروا، ولاتستبقوهم فتصرعكم البلية. ثم ذكر حصول الفرج بخروج صاحب الامر عليه السلام»(٢). وهٰذه الروايات يمكن استفادة جواز الخروج منها بدليل قول الامام الصادق عليه السلام: «لوددت»، الظاهر في حب الخروج، الكاشف عن مشروعيته أو يستفاد منها الجواز من خلال إمضاء الامام الكاظم عليه السلام لخروج صاحب فخ، الاّ ان المشكلة في ان غالبية هٰذه الروايات ضعيفة السند، ومعارضة بروايات اخرىٰ لاتجيز الخروج. فلايمكن الاعتماد عليها في إثبات المطلوب. ولاريب في أن زيد بن علي قد خرج مجاهداً لسلطان ظالم، حسب تعبير صحيحة العيص بن قاسم التالية، وخرج آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر. ويوجد في كلمات زيد الكثير من الشواهد علىٰ هٰذا.

فالروايات العامة في باب الامر بالمعروف وباب الجهاد تنطبق علىٰ خروج زيد، وتمنحهُ المشروعية. وإضافةً الىٰ هٰذا توجد روايات شاهدة علىٰ

---

(١) الكفاح المسلح في الاسلام/ ص٩٨.

(٢) وسائل الشيعة/ ج١١/ ابواب جهاد العدو/ باب ١٣/ حديث ١٧.

تأييد الامام لخروج زيد، وهي الروايات الخاصة في المقام. فلنستعرضها ثم نحاول معرفة دلالتها:

١ ـ «عن عيص بن القاسم، قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: «عليكم بتقوىٰ الله وحده لاشريك له، وأنظروا لأنفسكم، فوالله، إن الرجل ليكون له الغنم فيها الراعي، فإذا وجد رجلاً هو أعلم بغنمه من الذي هو فيها، يخرجه ويجيء بذلك الرجل الذي هو أعلم بغنمه من الذي كان فيها. والله لو كانت لأحدكم نفسان يقاتل بواحدة يجرب بها، ثم كانت الاخرىٰ باقية يعمل علىٰ ما قد استبان لها، ولكن له نفس واحدة إذا ذهبت فقد والله ذهبت التوبة. فأنتم أحق أن تختاروا لأنفسكم. إن أتاكم آتٍ منا فانظروا علىٰ أي شيء تخرجون؟ ولاتقولوا خرج زيد، فإن زيداً كان عالماً، وكان صدوقاً، ولم يدعُكُم الىٰ نفسه، وإنما دعاكم الىٰ الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله. ولوظهر لوفىٰ بما دعاكم إليه. إنما خرج الىٰ سلطان مجتمع لينقضه. فالخارج منا اليوم الىٰ أي شيء يدعوكم الىٰ الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله، فنحن نشهدكم أنا لسنا نرضىٰ به وهو يعصينا اليوم وليسَ معهُ أحد ...»[1].

٢ ـ عن سليمان بن خالد قال: «قال لي أبو عبدالله عليه السلام: كيف صنعتم بعمي زيد؟ قلت: إنهم كانوا يحرسونه، فلما شفَّ الناس أخذنا جثتهُ فدفناهُ في جرف علىٰ شاطئ الفرات، فلما أصبحوا جالت الخيل يطلبونه فوجدوه فاحرقوهُ. فقال عليه السلام: أفلا اوقرتموهُ حديداً والقيتموهُ في الفرات؟ صلىٰ الله

(١) وسائل الشيعة/ ج١١/ ابواب جهاد العدو/ باب١٣/ حديث١.

عليه ولعن قاتله»

وكلتا الروايتين تامة سنداً.

والرواية الاولىٰ صريحه في أن خروج زيد كان مرضياً من قبل الامام؛ لأنه جهاد ضد الطاغوت، إذ ورد في الرواية قوله ﷺ: «فالخارج منا الىٰ ايّ شيء يدعوكم الىٰ الرضا من آل محمد ﷺ، فنحن نشهدكم علىٰ انالسنا نرضىٰ به»

والتقابل بين عدم رضاه من خروج الخارج المذكور، ومدح زيد ودعواه في الرضا من آل محمد، يكشف عن رضا الامام عن خروجه.

نعم، إن خروجه أدىٰ الىٰ شهادته. ولعل الروايات الواردة في ذم خروج زيد (وهي ضعيفة سنداً) يمكن حملها علىٰ هٰذا، أيّ علىٰ أن الامام يعرف أن زيداً سيقتل فحاول منعهُ حفظاً له، لا أن خروجه محل منع من الامام. كما أن في الرواية مدحاً بالغاً لزيد، حيث وصفه الامام بأنه صدوق وعالم، وأنه كان مخلصاً في دعواه للرضا من آل محمد. وهٰذا الثناء من الامام يكفي في بيان أن خروجه كان مرضياً من قبله ﷺ. بل من قوله ﷺ: «لو ظهر لوفىٰ بما دعاكم اليه» والاشارة فيه الىٰ دعوة زيد للرضا من آل البيت، وبسط العدل في الناس، يمكن إثبات أن خروجه كان مرضياً من الامام ﷺ.

أما الرواية الثانية فهي صريحة في الترحم علىٰ زيد، وفي لعن قاتله الظالم مما يكشف أن شهادة زيد وقعت في سبيل الله.

فهاتان الروايان الصحيحتان تدلان علىٰ مشروعية خروج زيد (رض).

ويضاف اليها روايات عديدة فيها مدح بالغ لزيد[١] وكذلك ماورد من تأييد الامام علي بن الحسين عليه السلام لخروج المختار بن أبي عبيدة الثقفي، حين خرج وسيطر علىٰ الكوفة تحت شعار الثأر لدماء الحسين، وكان خروجه وعمله محل قبول من قبل الامام السجاد عليه السلام، ووجه التأييد أن المختار لم يكن من أهل البيت، ولم يكن بوجاهة ومقام زيد ومع ذلك يحضىٰ برضا الامام[٢] فكيف الحال مع زيد بن علي وهو ابن السجاد عليه السلام، وأخو الباقر عليه السلام، وعم الصادق عليه السلام، وهو العارف الصادق، التقي العالم، بصريح العبارات؟.

بقيت الروايات الصريحة في منع زيد من الخروج من قبل الامام الباقر، والامام الصادق عليه السلام مثلاً الرواية الواردة عن الامام الباقر عليه السلام وهو يناقش زيداً: «ان الطاعة مفروضة من الله والمودة للجميع، وأمر الله يجري لاوليائه بحكم موصول، وقضاء مفصول، وحتمٍ مقضي، وقدر مقدور، وأجلٍ مسمىً لوقتٍ معلوم، فلا يستخفنكَ الذين لايوقنون، إنهم لن يغنواعنكَ من الله شيئاً، فلاتعجل؛ فإن الله لايعجل لعجلة العباد، ولاتسبقن الله فتعجزكَ البلية فتصرعكَ. قال: فغضب زيد عند ذلك ثم قال: ليسَ الامام منا من جلس في بيتهِ وأرخىٰ سترَهُ وثبّط عن الجهاد، ولكن الامام منا من منع حوزته، وجاهد في سبيل الله حق جهادِ، ودفع عن رعيتهِ، وذبَّ عن

---

(١) للاطلاع علىٰ هٰذه الروايات راجع عيون اخبار الرضا/ باب ٢٥ في زيد بن علي، والامالي للصدوق/ ص٣٢١ حديث٣/ والارشاد للمفيد ص٢٦٩.

(٢) هٰذا اذا لم يناقش في هٰذاالوجه بدعوىٰ ان زين العابدين رحب بقتل قتلة الحسين عليه السلام وهو غير المدعىٰ فلا يؤيد هٰذه الروايات الخروج بالسلاح.

حريمه. قال أبو جعفر: هل تعرف يا أخي من نفسك شيئاً مما نسبتها اليه فتجيء عليه بشاهد من كتاب الله، أو حجة من رسول الله، أو تضرب به مثلاً فأن الله عزوجل أحل حلالاً، وحرَّم حراماً، وفرض فرائض، وضرب أمثالاً وسنَّ سنناً، ولم يجعل الامام القائم بأمره شبهه فيما فرض له من الطاعة أن يسبقهُ بأمر قبل محله، أو يجاهد فيه قبل حلوله، وقد قال الله عز وجل في الصيد: ﴿لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾ (الىٰ أن قال ؑ): فإن كنت علىٰ بينة من ربك، ويقين من أمرك، وتبيان من شأنك، فشأنك، وإلاّ فلا تروَمَنَّ أمراً انت فيه في شكٍّ وشبهة، ولاتتعاطَ زوال ملك لم تنقض أكله، ولم ينقطع مداه، ولم يبلغ الكتاب أجله ...»[1]. ويرد علىٰ هٰذا الحديث مايلي:

اولاً: انه ضعيف سنداً، بجهالة الحسين بن الجارود وموسىٰ بن بكر بن داب، وبإرساله أيضاً.

ثانياً: يمكن حمل الرواية علىٰ أن الامام الباقر ؑ يريد أن يرشد زيداً الىٰ ان الخروج ليس وقته الآن، وإنما سوف يأتي وقت ملائم، بدليل ذيل الرواية.

وفي حديث آخر للامام الباقر يقول فيه لشيعته: «اسكتوا ماسكنت السماوات والارض (أي لاتخرجوا علىٰ أحد»، ولاتكونوا ممن أرداهُ الهوىٰ والعجلة، ومال به الحرص عن الهدىٰ والمحجة البيضاء. وفقنا الله وإياكم لما فيه من السلامة من الفتن»[2].

---

(١) الاصول من الكافي/ ج١/ ص٣٥٦.

(٢) الكفاح المسلح في الاسلام/ ص١٤٢.

وهناك روايات كثيرة علىٰ هٰذا المستوىٰ من الظهور.

ثالثاً: أنا نستبعد ان تصدر هٰذه المناقشة من زيد مع الامام الباقر عليه السلام الذي رباه صغيراً، وقبل خروج زيد بحدود احدىٰ عشرة سنة.

الىٰ هنا نتتهي من بحث أهداف الثورة، بيد أن ثمة بحثاً مهماً يرتبط بالشروط العامة التي يجب أن تتوافر لإعلان الثورة ضد الحكم الظالم، إذ البحث في شروط الثورة في الوقت الحاضر لايخلو من نفع، وقبل البدء بذلك نذكر ان المراد من مصطلح الامام الذي نستعمله «الأعم» من الامام الأصل ومن الفقيه الجامع للشروط. علىٰ القول بأن ما للامام من وظائف، ومنها الإذن بالكفاح المسلح ضدالنظام المنحرف. والآن لندرس تلك الشروط:

اولاً: اذن الامام في الثورة

لابد أن يظفر القائم بالثورة بإذن الامام في الخروج علىٰ الحاكم الفاسق، ويمكن استفادة هٰذه الشرط من الادلة التالية:

١ ـ خروج زيد بن علي بعد مشورة الامامين الباقر والصادق عليهما السلام، فإنه شاورهما في ذلك فأجازا له الخروج، رغم علمهما بانه سوف يستشهد، وعَلَّقَ الامام اجازته بالخروج لزيد برضاه بذلك المصير، ومن هٰذه الروايات التي تدل علىٰ مشاورة زيد للامام الصادق عليه السلام: ما عن ابن أبي عبدون عن أبيه قال: «لـمَّا حُمِلَ زيد بن موسىٰ بن جعفر الىٰ المأمون، وقد خرجَ بالبصرة، وأحرق دور وُلْدِ العباس وهب المأمون جرمَهُ لأخيه علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام، وقال لهُ: ياأبا الحسن، لئن خرج أخوكَ وفعل مافعل لقد خرج

قبله زيد بن علي فقتل، ولولا مكانكَ مني لقتلتُهُ، فليس ما أتاهُ بصغير. فقال الرضا ﷺ: يا أمير المؤمنين لاتقس أخي زيداً الىٰ زيد بن علي، فإنه كان من علماء آل محمد، غضب لله عز وجل فجاهد اعداءهُ حتىٰ قتل في سبيله، ولقد حدَّثني أبي موسىٰ بن جعفر ﷺ انه سمع أباه جعفر بن محمد بن علي ﷺ يقول: رحم الله زيداً، إنه دعا الىٰ الرضا من آل محمد، ولو ظفر لوفىٰ بما دعا اليه، ولقد استشارني في خروجه فقلت لهُ: ياعم، إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك. فلما ولىٰ قال جعفر بن محمد: ويلٌ لمن سمع داعيته فلم يجبهُ ...»[1].

وروايات اخرىٰ موجودة علىٰ هٰذا المستوىٰ في خصوصِ زيد.

٢ـ ماتضمنتهُ رواية عن صاحب فخ انه شاورَ الامام موسىٰ الكاظم ﷺ وهي: «حدثنا إبراهيم بن إسحاق القطان قال: سمعت الحسين بن علي ويحيىٰ بن عبد الله يقولان: ماخرجنا حتىٰ شاورنا أهل بيتنا وشاورنا موسىٰ بن جعفر ﷺ فأمرنا بالخروج»[2].

وكذلك قول الامام الكاظم ﷺ له صريحاً: «يا أبن عم أنكَ مقتول فأجِدِ الضراب فإن القوم فُسّاق يظهرون إيماناً ويسرُّون شركاً وإنا لله وإنا اليه راجعون، أحتسبكم عند الله من عصابة ثم خرج الحسين»[3].

٣ـ حيث ان العمل العسكري ضد الحاكم الفاسق يتضمن قتلا وجرحاً

(١) عيون اخبار الرضا/ ج١/ ص٢٤٨.

(٢)الكفاح المسلح/ ص٩٩.

(٣)المصدر نفسه/ ص٩٧.

فلابد من تحصيل اذن الامام عليه السلام وفي هٰذا المجال كتب صاحب الجواهر: «وكيف كان فلو افتقر الىٰ الجراح أو القتل هل يجب؟ قيل والقائل السيد والشيخ في التبيان والحلبي والعجلي والفاضل في جملة من كتبه ويحيىٰ بن سعيد والشهيد في (النكت) علىٰ ماحكي عن بعضهم: نعم يجبُ وقيل، والقائل الشيخ والديلمي والقاضي وفخر الاسلام والشهيد والمقداد والكركي علىٰ ما حكي عن بعضهم: لايجوز الا بإذن الامام عليه السلام. بل في المسائل هو أشهر. بل في مجمع البرهان هو المشهور. بل عن الاقتصاد:

الظاهر من شيوخنا الإمامية أن هٰذا الجنس من الإنكار لايكون إلا للائمة عليهم السلام، أو لمن يأذن له الامام عليه السلام فيه»[1].

وتلك الروايات تشير الىٰ ان الخارجين من أنصار أهل البيت يشاورون الائمة عليهم السلام، ويكسبون اذنهم.[2]. وقد يؤدي هٰذا المعنىٰ رواية الرّيان بن الصلت انه «قال للامام الرضا: إن العباسي (وهو رجل يبغض الامام) يسمعني فيك ويذكرك، وهو كثيراً ماينام عندي ويقيل، فترىٰ أن اخذ بحلقه وأعصرهُ حتىٰ يموت ثم أقول: مات ميتة فجأةً؟ فقال: ونفض يديه ثلاث مرات: لايا ريّان، لايا ريّان، لايا ريّان.

فقلت له ان الفضل بن سهل هوذا يوجهني الىٰ العراق في أمور له والعباسي خارج بعدهُ بأيام الىٰ العراق، فترىٰ أن أقول لمواليك القميين أن

---

(١) جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام/ ج٢١/ ص٣٨٣.

(٢) يرىٰ بعض الباحثين ان جميع ثورات بني الحسن غير مشروعة وان تالم الائمة علىٰ مقتل قياداتها، وأن ثورة زيد هي الثورة الوحيدة التي حضيت بالإذن من الامام الصادق عليه السلام.

يخرج منهم عشرون أو ثلاثون رجلاً كأنهم قاطعوا الطريق أو صعاليك، فإذا اجتاز بهم قتلوه. فسكت فلم يقل نعم ولا لا ... (الىٰ ان قال): فاستشارهُ فيما قلت لهُ فقال (معمر): لاندري سكوته أمر أو نهي، ولم يأمرك بشيء فليس الصواب ان تتعرض له (اي العباسي)»[1].

والسؤال المطروح هو: لماذا اشتُرِطَ العمل العسكري بإذن الامام؟ والجواب يتلخص في النقاط التالية:

اولاً: إن نوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المقترن بالجرح: والقتل أنما هو من وظائف الامام - كما يرىٰ صاحب الجواهر وطائفة من الفقهاء - فلايحق لأحد أن يمارس هٰذا اللون من النهي بدون اذنه.

ثانياً: قطع الطريق علىٰ الذين يحاولون الا كتساب من الاعمال العسكرية، فلا يمكن لأي فرد ان يدعي حقَّهُ في قيادة عملٍ عسكري ضد الحكم القائم تحت ستار الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، في حين انه يضمر نوايا غير مخلصة، أو لا يعرف مواطن استعمال القوة.

ثالثاً: إن القيام العسكري يزلزل النظام الاجتماعي، ويهز الوضع العام، ومن الواضح أنه ليس كل فرد يستطيع أن يحكم بأن خلخلة النظام الاجتماعي مرجوح أمام احتمال الانتصار، انما الامام - فقط - يستطيع تحديد القرار الحكيم في ذلك، فهو الذي يشخِّص مثلاً ضرورة القيام العسكري حتىٰ لو أدىٰ الىٰ تداعي الوضع العام، وهو الذي يحدد حجم ذلك التداعي المسموح به شرعاً. وإذا كان الامر كذلك فلابد من الظفر بأذنه لكي يقع

---

(١) قرب الاسناد/ ص١٥٠.

العمل العسكري في مجراه العام، والهادف الذي يصممهُ الامام.

هٰذهْ بعض معطيات اشتراط إذن الامام في الخروج، وهي بمجموعها تنظر الىٰ الأهميات، بعيداً عن العاطفة التي لايسلم منها الافراد بما فيهم الصلحاء والعلماء، فكيف بعامة الناس؟

ثانياً: مؤهلات قائد الثورة

نقصد بالمؤهلات الشروط العلمية التي يجب ان تتوفر في قائد الثورة، ونوعية الولاء الذي يكنه وحقيقة دوافعه، وقدرته علىٰ إدارة العمل العسكري وقيادته. اذ ليس كل فرد يستطيع أن يخوض العمل العسكري ضد النظام، وإنما لابد من نوعية متميزة من الافراد، وهٰذه المعنىٰ يمكن استظهارهُ من الروايات التالية:

١ ـ عن مسعدة بن صدقة عن ابي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول:

«وسئل عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر أواجبٌ هو علىٰ الأمة جميعاً؟ فقال: لا. فقيل له: ولِمَ؟ قال: إنما هو علىٰ القوي المطاع العالم بالمعروف من المنكر لاعلىٰ الضعيف الذي لايهتدي سبيلاً الىٰ أيٍّ من أيٍّ، يقول من الحق الىٰ الباطل، والدليل علىٰ ذلك كتاب الله (الىٰ ان يقول عليه السلام): وليس علىٰ من يعلم ذلك في الهدنة من حرج إذا كان لاقوة له ولاعدد ولاطاعة»[1].

٢ ـ «عن العيص بن القاسم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ولاتقولوا: خرج زيد، كان زيد عالماً وكان صدوقاً ولم يدعُكُم الىٰ نفسه وإنما دعاكم الىٰ

(١) وسائل الشيعة / ج١١/ ص٤٠٠/ ح١.

الرضا من آل محمد، ولو ظهر لوفىٰ بما دعاكم اليه»[١].

٣ـ قول الامام الرضا عليه السلام: للمأمون وهو يمنعهُ من قياس خروج زيد بن علي (رض) بخروج زيد بن موسىٰ: إن زيد بن علي لم يدَّعِ ماليس له بحق، وإنه كان أتقىٰ لله من ذاكَ. إنه قال: أدعوكم الىٰ الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله»[٢].

وهٰذه الروايات بعضها يُلقي الضوء علىٰ مؤهلات الشخص الذي يتولىٰ الأمر بالمعروف الخاص الذي يستوجب طاعةً وأعواناً، وهٰذا معنىٰ من معاني مواجهة الحاكم الفاسق، وبعضها يتضمن خصائص زيد، حيثُ تعلل خروج زيد بانه عالم وصدوق في رفع شعار الرضا من آل محمد. ومن هٰذه الروايات يمكن تسجيل خصائص العمل العسكري ضد الحاكم الفاسق:

١ ـ علم القائد بشريعة الله.

٢ـ الاعتقاد بحقانية أهل البيت عليهم السلام بالامامة.

٣ـ الامكانات اللازمة من الرجال والسلاح للقيام بالعمل العسكري.

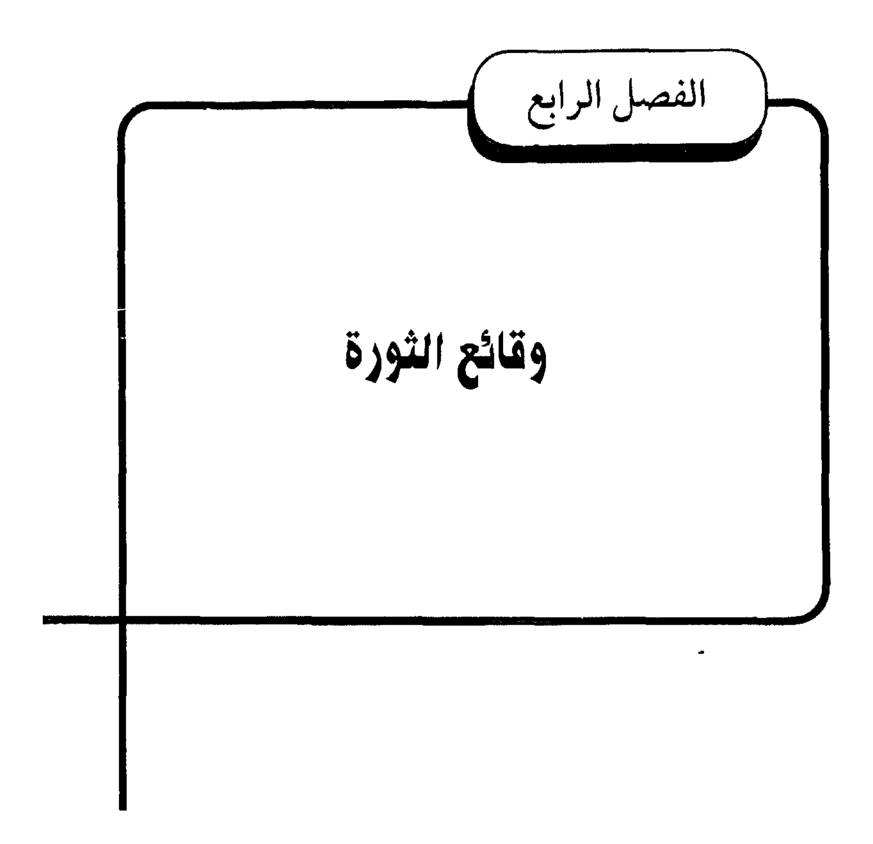
٤ ـ تحديد الاهداف بدقة مع امكان تحقيقها.

فهٰذه المؤهلات والشروط تجعل العمل العسكري عملاً مشروعاً يستهدف إزالة الطاغوت، وتسليم السلطة لأصحابها الشرعيين، وهم الائمة عليهم السلام «والفقهاء العدول في عصرنا الراهن»، وتوفر الحد الادنىٰ اللازم للحكم بجواز العمل العسكري.

---

(١) المصدر السابق/ ص٣٥ / ح١.

(٢) عيون اخبار الرضا/ ج١ / ص٢٤٩.



الفصل الرابع

وقائع الثورة



انكشف أمـر زيد، واستعـداده للقيـام بـالثورة عن طريق الجـواسيس المندسِّين في صفوف زيد، فقام والي الكوفة بعدة تدبيرات لتصفية الثورة قبل انطلاقها.

وكان يوسف في الحيرة، وكـان الحاكم عنه في الكوفة الحكم بن صلت. فـأرسلَ يوسف الىٰ الحكم أن يجمع أهل الكوفة في المسجـد، ويمنعـهم من الخروج لشؤونهم الىٰ حين القاء القبض علىٰ زيد[1].

وكان من المقـرر أن لايخرج زيد في ليلـة الاربعاء الأخيـرة من صفـر عام ١٢٢هـ، ولكن القوات الشاميّة راحت تبـحث عنه فذهب الىٰ دار معاوية بن إسـحاق، وقـرر الخروج فـي ليلة الأربعـاء، فـرفع أصـحابه الـهراوي وفـيـهـا النيران ونادوا:

«يامنصور أمت»[2] وهو شعـار الثورة، وكانت ليلة الأربعـاء ليلة شديدة البرد.

---

(١) تاريخ الطبري/ ج٨/ ص٢٧٢.

(٢)المصدر نفسه/ ص٢٧٣.

اما زيد فراح يسعىٰ في الليل لجمع الذين بايعوه، فأرسلَ قاسم التنعي مع رجل فواجه بعض جند الشام فَقُتِل الرجل وأُسِرَ القاسمُ وأُحْضِرَ الىٰ يوسف بن عمر فأمر بقتله[١].

وبعث زيدٌ سعيد بن خثيم وكان رجلاً صيتاً ينادي بشعار الثورة.

ويبدو أن زيداً لم يضع خطة محددة، حيث راح يقسم أنصاره الىٰ جماعات، ويرسلها الىٰ مناطق متعددة لمقاتلة تجمعات جند النظام ... فمن المحتمل أن تكون خطة زيد القضاء علىٰ قوات النظام أولاً، ثم تصفية الامور ثانياً. لذلك حين سمع نصر بن خزيمة شعار الثورة أقبل الىٰ زيد بن علي فأرسله مع مجموعة للهجوم علىٰ مراكز تجمع جند الشام، فذهب فالتقىٰ بعمرو بن عبد الرحمن، فحمل عليه نصر فقتله، وفر أصحابه[٢].

ورغم أن زيداً ركز في الليلة الاولىٰ علىٰ جمع أنصاره ومؤيديه، إلاّ أنه لم ينجح في ذلك بسبب محاصرتهم في المسجد، وبسبب تباطؤ بعضهم عن الالتحاق به، فمثلاً وقف زيد علىٰ دار أنس وكان من الذين بايعوه وطلب منه الخروج بقوله: «أُخرج ياأنس، فقد جاء الحق زهق الباطل».

ولكن أنساً لم يرد الجواب فقال زيد: «ما أخلفكم قد فعلتموها. الله حسيبكم»[٣]. فتألم زيد لذلك، وتساءلَ بحرارة أين الناس؟ فأجابه نصر بن خزيمة أن الناس محصورون في المسجد، فقال زيد: ماهٰذا والله بعذر لمن

---

(١) مقاتل الطالبيين/ ص٩٣.

(٢)تاريخ الطبري/ ج٨/ ص٢٧٣.

(٣)المصدر نفسه/ ص٢٧٣.

بايعنا. فقال نصر لزيد: «فامض بنا اليهم، فخرج زيد بمن معهُ يريد المسجد فمر علىٰ دار خالد بن عرفطة وبلغ عبد الله بن عباس الكندي ـ وكان قائداً من قواد يوسف بالكوفة ـ إقباله فخرج اليه في أهل الشام الذين كانوا بالكوفة، وأقبل زيد اليه فالتقوا علىٰ باب عمر بن سعد بن ابي وقاص، فكاع صاحب لواء عبيد الله ـ وهو مولىٰ له ـ فقال له: احمل يابن الخبيثة فحمل حتىٰ انصرف وقد خضب لواءه»[1].

«وجاء زيد وأصحابه حتىٰ انتهوا الىٰ باب الفيل، فجعل أصحاب زيد يدخلون راياتهم من فوق الابواب ويقولون: يا أهل المسجد اخرجوا وجعل نصر بن خزيمة يناديهم ويقول: يا أهل الكوفة اخرجوا من الذل الىٰ العز، اخرجوا الىٰ الدين والدنيا فإنكم لستم في دين ولادنيا، فأشرف عليهم اهل الشام فجعلوا يرمونهم بالحجارة من فوق المسجد وكان يومئذٍ جمع كبير بالكوفة»[2].

ويبدو أن زيداً لم يكن يعرف أن الناس قد حوصروا في المسجد، لذلك تساءلَ أين الناس؟ فقال له نصر: ان الناس محصورون في المسجد. فحاول زيد فك الحصار المضروب علىٰ أنصاره في المسجد ولكنه فشل لاسباب:

١ ـ قلة انصاره في عملية فك الحصار عن المسجد.

٢ ـ مقاومة جند الشام بقيادة عبيد الله بن عباس الكندي، لعملية فك الحصار.

---

(١) انساب الاشراف/ ج٣/ ص٢٤٦.

(٢) تاريخ الطبري/ ج٨/ ص٢٧٤.

٣ـ ان المحصورين في الداخل تأخروا عن الاستجابة لدعوة زيد.

ولما يئس زيد من فك الحصار، قرر مواصلة خطة تصفية الكوفة من قوات الشام، وضرب تجمعاتهم، وكانت نقطة انطلاقة زيد من جبانة سالم، ثم تحرك باتجاه جبانة الصيادين، حيث التقىٰ بقوة من أهل الشام مؤلفة من (٥٠٠) مقاتل، فحمل عليهم، ووقعت المعركة الاولىٰ حيث استطاعَ زيد أن يكبدهم فيها بعض الخسائر، وفر الآخرون من المواجهة.

ثم «انتهىٰ زيد الىٰ الكناسة فحمل علىٰ جماعة بها من أهل الشام فهزموهم، ثم خرج حتىٰ ظهر الىٰ الجبانة ويوسف بن عمر علىٰ التل ينظر اليه هو وأصحابه، وبين يديه حزام بن مرة المزني وزمزم بن سليم الثعلبي وهما علىٰ المجففة، ومعه نحو من مئتي رجل، والله لو أقبل علىٰ يوسف لقتله. والريان بن سلمة يتبع اثر زيد بن علي بالكوفة في أهل الشام، ثم إن زيداً اخذ ذات اليمين علىٰ مصلىٰ خالد بن عبد الله حتىٰ دخل الكوفة، وكانت فرقة من أصحاب زيد بن علي حيث وجَّهت الىٰ الكناسه قد انشعبت نحو جبانة مخنف بن سليم، ثم قالَ بعضهم لبعض: الا ننطلق نحو جبانة كندة؟ قال: فما زاد الرجل علىٰ أن تكلم بهٰذا الكلام وطلع أهل الشام، فلما رآهم دخلوا زقاقاً فمضوا فيه، وتخلف رجل منهم فدخل المسجد فصلىٰ فيه ركعتين، ثم خرج اليهم فقاتلهم ساعة، ثم انهم صرعوه فجلعوا يضربونه بأسيافهم، فنادىٰ رجل منهم فارس مقنع بالحديد: ان اكشفوا المغفر، ثم اضربوا رأسه بعمود حديد، ففعلوا وقُتل وحمل أصحابه عليهم فكشفوهم عنه وقد قتل، وانصرف اهل الشام وقد اقتطعوا رجلاً، ونجا

سائرهم فذهب ذلك الرجل حتىٰ دخل دار عبد الله بن عوف فدخل اهل الشام عليه فأسروه، فذُهِبَ به الىٰ يوسف بن عمر فقتله»[١].

أما زيد بن علي وجنوده فإنه التقىٰ مع الريان بن سلمة، فقاتلهُ عند دار الرزق قتالاً شديداً، فجرح منهم ناس كثير، وقتل منهم ناس كثير، وتبعهم أصحاب زيد من دار الرزق الىٰ المسجد[٢].

وانتهىٰ القتال في يوم الاربعاء لصالح قوات زيد، وفي الليل التحق بزيد بعض الانصار بعد أن ترددت انتصاراته في الكوفة، واستقرت قوات زيد فىٰ دار الرزق، وهو ملجأ لحفظ الاموال، الارزاق، وهو مكان حصين لان النهر يشكل أحد أضلاعه، وبنىٰ زيد جدارين كبيرين علىٰ ضلعين آخرين، وجمع قطعاً من الخشب في الضلع الرابع للمنع من اختراق الحصن.

والاخفاق الوحيد الذي مني به زيد في أول يوم من الثورة هو فشله في اختراق المسجد. والذي يلاحظ أنه لم يبذل جهوداً من أجل ذلك، وإنما اكتفىٰ بتهيئة الفرصة للمحجوزين للالتحاق به لو أرادوا ذلك.

وفي يوم الخميس دعا يوسف بن عمر الريّان بن سلمة، ولكنه لم يكن حاضراً، فدعا العباس بن سعيد صاحب الشرطة مع قوات من أهل الشام وارسله لقتال زيد، فالتقىٰ معه في دار الرزق، وكان علىٰ ميمنة زيد نصر بن خزيمة، وعلىٰ ميسرته معاوية بن إسحاق. وأبصر نائل بن فروة نصر بن خزيمة، وقد كان نائل أقسم أن يقتل نصراً حالما يراه، وأعطاه يوسف بن

(١) تاريخ الطبري/ ج٨ / ص٢٧٤.

(٢) المصدر نفسه/ ص٢٧٥.

عمر لهٰذا الغرض سيفاً قاطعاً، فضرب به فخذ نصر فقطعه، وضربه نصر فقتله، ومالبث أن استشهد نصر متأثراً بجراحه. ورغم هٰذه الخسارة الجسيمة التي مني بها زيد بفقدان نصر الذي ضرب المثل الاعلىٰ في الاخلاص والشجاعة حتىٰ انه قال لزيد: «إنما عليّ أن أضرب بسيفي حتىٰ أموت»[١].

اقول علىٰ رغم ذلك فإن زيداً استطاع أن يلحق بقوات العباس بن سعيد خسائر ملحوظة تقدر بسبعين قتيلاً[٢].

ولكن يوسف بن عمر عبأهم من جديد، وبعثهم لقتال زيد في عشية يوم الخيمس، فحمل عليهم زيد في أصحابه، فكشفهم، ثم تبعهم حتىٰ أخرجهم من السبخة، ثم شدّ عليهم حتىٰ أخرجهم الىٰ بني سليم، ثم تبعهم في خيله ورجاله حتىٰ أخذوا علىٰ المسناة وكان صاحب لواء زيد في هٰذه المعركة عبد الصمد بن أبي مالك بن مسروح من بني سعد، فجعلت خيل العباس لاتقف أمام هجمات قوات زيد، فبعث العباس الىٰ يوسف طلب النجدة، فأنجده بفرقة من الرماة بقيادة سليمان ين كيسان الكلبي، فحاول زيد أن يدفعهم الىٰ السبخة، فقتل معاوية بن إسحاق[٣] وهو الرجل المهم الآخر بعد نصر بن خزيمة، وما لبث أن ضرب زيد بسهم في جبهته اليسرىٰ فبلغ دماغه، فرجع مع أصحابه الىٰ دار الجزارين التي بالسبخة[٤].

---

(١) انساب الاشراف/ ج٣/ ص٢٤٦.

(٢)تاريخ الطبري/ ج٨/ ص٢٧٥.

(٣)المصدر نفسه/ ص٢٧٥ بتصرف.

(٤)انساب الاشراف/ ج٣/ ص٢٥٠.

فبعث اليه بطبيب اسمهُ (سفيان مولىٰ لبني دواس) وطلبوا اليه قلع النصل الذي استقر في جبهة زيد فقال الطبيب له: «إنك ان نزعته من رأسك مت» فقال: الموتُ أيسرُ عليَّ مما أنا فيه، فأخذ الكلبتين فانتزعه فساعة انتزاعه مات»[1]

فحفر له أصحابه قبراً وسط النهر من أجل إخفاء قبر زيد، وذلكَ خوفاً علىٰ بدنه من التمثيل، ولكن عبداً سندياً كان معهم كشف ذلك ليوسف بن عمر فأستخرجه، وصلبه، وبعث برأسه الىٰ هشام بن عبد الملك الذي أرسله الىٰ المدينة فعُلّقَ عند قبر الرسول ﷺ، ثم طيف به في مصر، فسرقه بعض الانصار ودفنه.

وتفرق أصحاب زيد في الليل، واختفىٰ ابنه يحيىٰ عند سابق وهو مولى لبشر بن عبد الملك، ثم اختفىٰ عند بشر مدة أُخرىٰ، ثم هرب الىٰ الري. وبعد قتل زيد بعث يوسف بن عمر الىٰ أم امرأة لزيد أزدية فهدم دارها وحملها اليه فقال لها: أزوجت زيداً؟ قالت: نعم، زوجته وهو سامع مطيع، ولو خطب اليكَ اذا كان كذلك لزوجته. فقال: شقوا عليها ثيابها، فجلدها بالسياط وهي تشتمه وتقول: ما أنت بعربي، أتعريني وتضربني لعنك الله فماتت تحت السياط؟!.

ثم أمر بها فأُلقيت في العراء فسرقها قومها ودفنوها في مقابرهم. وكذلكَ أخذ يوسف أمرأة قوَّت زيداً علىٰ أمره فأمر بها أن تقطع يدها ورجلها، فقالت: اقطعوا رجلي أولاً حتىٰ أجمع عليَّ ثيابي، فقطعت يدها

---

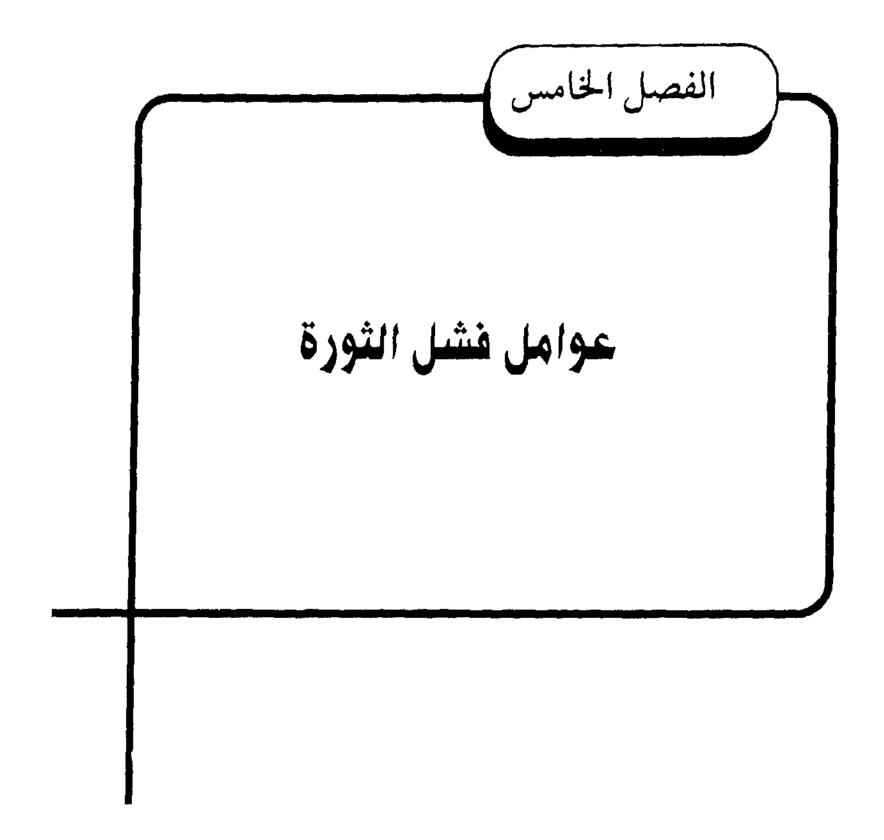
(١) مقاتل الطالبيين/ ص٩٦.

ورجلها ولم تحسم حتىٰ ماتت وضرب عنق زوجها.

وأُتي يوسف بعبد الله بن يعقوب السلمي، وكان زوَّج ابنته من يحيىٰ بن زيد فقال له يوسف: ائتني بابنتكَ، قال: وماتصنع بها؟ جارية عاتق في البيت. قال: أُقسم لتأتيَني بها أو لأضربَنَ عنُقَكَ، فابىٰ ان يأتيه بابنته فضرب عنقه، وأمر العريف أن يأتيه بابنة عبد الله بن يعقوب فأبىٰ فأمر به فدقت يده ورجله[1].

---

(١) انساب الاشراف/ ج٣ / ص٢٥٥.



الفصل الخامس

عوامل فشل الثورة



رغم أن زيد بن علي (رض) استعد للقيام بثورته، وعملَ طويلاً في الكوفة وامتدت نشاطاته الىٰ مدن ايران فضلاً عن الولايات العراقية المشهورة كالبصرة مع كل ذلك، فانه فشل في ثورته. والسؤال هو لماذا فشل زيد في تحقيق الانتصار علىٰ والي الكوفة؟

هنالكَ عوامل عديدة أدت الىٰ هٰذه النهاية المفجعة لثورة زيد، يجدر بنا أن نتناولها، ونركز بشيء من التفصيل علىٰ نفسية القاعدة الشعبية للثورة وندرس الظروف التاريخية، والسياسية والنفسية لمجتمع الكوفة باعتباره مادة الثورة ولان احجام مجتمع الكوفة في اللحظات الحاسمة عن المشاركة بالثورة ادىٰ الىٰ انهيارها امام قوات الشام.

ولنتناول اولاً: عوامل إخفاق الثورة، ثم نفصِّل الحديث بعد ذلك في الحالة الفكرية، والنفسية للمجتمع الكوفي:

اولاً: قوة النظام الاموي

كان الظرف التاريخي الذي انفجرت فيه الثورة ـ من سوء الحظ ـ في

زمان قوة البيت الاموي ... وشدة سيطرته وبطشه، وهيمنته علىٰ الساحة العامة، ويمكن أدراك هٰذه الحقيقة من خلال ما يلي:

١ ـ حجم الفتوحات والانتصارات العسكرية التي تحققت في هٰذه الفترة وخاصة في عهد الوليد، وسليمان ابني عبد الملك، مما أوجد للبيت الأموي موارد مالية ضخمة، وقوات عسكرية جاهزة تحت الطلب بعد توقف الفتوحات.

٢ـ نتائج سياسة عمر بن عبد العزيز التي اتبعها إزاء الفرق الاسلامية، وفي إدارة الدولة، التي أسفرت عن تنفيس الوضع العسكري، واستقرار الاوضاع نسبياً.

٣ـ ضعف الحركات المضادة للبيت الأموي (باستثناء حركات الخوارج) سواء نتيجة للضربات التي تلقتها، أو لانها مارست استراتيجية خاصة في العمل كالحركة العباسية.

٤ـ استقرار الحكم لصالح هشام بن عبد الملك، فلم ينازعهُ أحد من البيت الأموي في سلطانه كما لم تنفجر حروب ضده.

ويصف الدنيوري الوضع العام في زمن هشام بقوله: «وذكروا أنه لم يكن في بني أمية ملك أعظم من هشام ولاأعظم قدراً ولا أعلىٰ صوتاً منه دانت له البلاد وملك جميع العباد وأدّيت له الجزية من جميع الجهات من الروم والفرس والترك والافرنج والزنج والسند والهند»[1].

---

(١) الامامة والسياسة/ ج٢/ ص١٢٨.

ثانياً: إجراءات والي الكوفة ضد الثورة

لقد عرفنا سابقاً أن أشتعال الثورة في الكوفة لم يكن عملاً منفصلاً عن الاحداث التاريخية التي شهدتها الساحة، بل سبقه ارهاصات ومواجهات بين زيد ذاته وبين البيت الاموي ورموزه. ولعل أهمها المنازعة الكلامية الحادة بين زيد وبين هشام نفسه في دمشق، وتبعها سلسلة اجراءات قام بها هشام للحط من كرامة زيد.

فالسلطة إذن تعرف أن زيداً يسعىٰ للاطاحة بالحكم الأموي، لذلك مارست أيام الثورة، وماقبلها عدة إجراءات ساهمت بشكل ملحوظ فى إخماد الثورة وهي:

١ ـ الضغط علىٰ زيد أثناء وجوده في الكوفة حتىٰ أُبعد عنها بصحبة مجموعة من الشرطة، ولكن زيداً عاد بعد ذلك سراً الىٰ الكوفة.

٢ ـ بعد أن عرف يوسف بن عمر أن زيداً في الكوفة يهيّئ للثورة، حاول معرفة خططه وأهدافه فقد «دسّ مملوكاً له خراسانياً ألكن، وأعطاه خمسة آلاف درهم، فأمره أن يلطأ (يتصل) لبعض الشيعة فيخبره أنه قدم من خراسان حباً لأهل البيت، وأن معهُ مالاً يريد تقويتهم فلم يزل يتدسس حتىٰ أُدخل علىٰ زيد، ثم دل يوسف عليه، فوجه اليه الخيل فخرج زيد ونادىٰ بشعاره فخرج اليه أقل من ثلاثمئة»[1].

فعيون يوسف بن عمر، وجواسيسه كانت تراقب حركة زيد باستمرار،

---

(١) انساب الاشراف/ ج٣/ ص٢٤٤.

وتسجل أنشطته مما أدىٰ الىٰ قمع حركته.

٣ـ ولعل أهم الاجراءات التي قصمت ظهر الثورة هي حصر أهل الكوفة في المسجد، ومنعهم من الخروج، إذ إن الكثير من المحصورين كانوا من الذين بايعوا زيداً، وبالتالي فإن زيداً حين خرج لم يجد أنصاره علىٰ أهبة الاستعداد للاستيلاء علىٰ قصر الامارة ومحاصرة انصار الحكم وتصفية قواته العسكرية.

٤ـ سرعة نقل خبر بيعة الناس لزيد الىٰ دمشق، حيثُ قام هشام بدوره بنجدة يوسف بن عمر حيث «بعث عامر بن ضبارة المري إلىٰ يوسف ومعه ثمانية آلاف»[1].

٥ـ حصّن يوسف بن عمر مدينة واسط، وتوثق من أبوابها بعد أن عرف أن اهلها بايعوا زيداً، وكذلك فعل في المدائن، وشحن واسطاً بالخيول»[2].

هٰذه الاجراءات قبل اشتعال الثورة. أما بعد خروج زيد فإن يوسف بن عمر عمل بجد وحزم وسرعة في مواجهة زيد، فلم يسمح له، بالتفكير في الخطوة اللاحقة للشورة، فقد راحَ يعبّئ له القوات، فاذا خسر جولة امام زيد عزز تلك القوات، وزج بها من جديد لمواجهة زيد، وهكذا علىٰ مدىٰ يومين، أي يومي الاربعاء والخميس. كانت المعركة حامية ضد زيد، صحيح أن زيداً ألحقَ بقوات الشام خسائر فادحة، بيد أن تلك القوات تُعوِّض خسائرها من جديد، في حين أن خسائر زيد لاتعوَّض.

(١) انساب الاشراف/ ج٣/ ص٢٤٨.

(٢) المصدر نفسه/ ص٢٤٠.

٦ـ استطاع يوسف بن عمر أن يقتل أهم رجلين اعتمد عليهما زيد في ثورته، وهما: نصر بن خزيمة، ومعاوية بن إسحاق وبذلك خسر زيد أهم رجالاته، وهو بعدُ في أوائل ثورته.

٧ـ لم يترك يوسف بن عمر محاصرة الناس في المسجد حتىٰ فرغ كلياً من الثورة، ثم أطلق سراحهم بعد ذلك.

هٰذه أهم الاجراءات، وأسباب فشل الثورة التي تتصل بالسلطة. والىٰ جانب هٰذه العوامل وقع زيد في جملة أخطاء ساعدت يوسف بن عمر علىٰ القضاء علىٰ الثورة. وفيما يلي أهم الأسباب التي تعود الىٰ زيد بن علي، وطريقته في الحركة وفي القتال:

اولاً:

لم يستطع تعبئة كل فئات المعارضة الموجودة في الكوفة ضد النظام، بل ان زيداً لم يستطع أن يحتفظ ببعض الشيعة الذين انضموا اليه، حيث تركوه قبل بداية الثورة.

والسبب في تركهم أياه يعود الىٰ عاملين هما:

١ـ ايمانهم بإمامة محمد بن علي الباقر ومن بعد ولده جعفر بن محمد الصادق وكانوا يعرفون أن المعارضة المسلحة لايقوم بها الاّ الامام الشرعي، أو اعتقدوا بأن الامام الصادق ﷺ لايوافق علىٰ مشاركة الشيعة في ثورة زيد، لذلك انسحبوا من صف زيد.

«وفارقوه ونكثوا بيعته وقالوا سبق الامام. وكانوا يزعمون أن أبا جعفر

محمد بن علي عليه السلام أخا زيد بن علي هو الامام، وكان قد هلك يومئذ، وكان ابنه جعفر بن محمد حياً، فقالوا: جعفر إمامنا اليوم بعد أبيه، وهو أحق بالامر بعد ابيه، ولانتبع زيد بن علي؛ فليس بإمام. فسماهم زيد الرافضة»[١].

«فقال لهم زيد: وجهوا الىٰ ابي جعفر[٢] رسولاً، فإن أمركم بالخروج معي فاخرجوا، فاعتلوا عليه ثم قالوا: لو أمرنا بالخروج معكَ ماخرجنا؛ لأنا نعلم ان ذلكَ تقية منه واستحياء منك. فقالَ: كفوا ايديكم عني»[٣].

٢ـ المناقشة التي جرت بينه وبن أولئك الذين جاءوا اليه وقالوا لهُ: «رحمك الله، ماقولك في أبي بكر وعمر؟ قال زيد: رحمهما الله وغفرلهما، ماسمعت أحداً من أهل بيتي يتبرأ منهما، ولايقول إلاّ خيراً. قالوا: فلمَ نطلب اذاً بدم أهل هٰذا البيت إلاّ أن وثبا علىٰ سلطانكم فنزعاه من ايديكم؟! فقال لهم زيد: إن أشد ما أقولُ فيما ذكرتم أنا كنا أحق بسلطان رسول الله صلى الله عليه وآله من الناس أجمعين، وأن القوم أستأثروا علينا ودفعونا عنه ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفراً، قد ولوا فعدلوا في الناس، وعملوا بالكتاب والسنة. قالوا: فلم يظلمك هؤلاء، اذا كان أُولئك لم يظلموك، فلمَ تدعو الىٰ قتال قوم ليسوا لكَ بظالمين؟ فقال: أن هؤلاء ليسوا كأولئك إن هؤلاء ظالمون لي ولكم ولأنفسهم»[٤].

---

(١) تاريخ الطبري/ ج٨/ ص٢٧٢.

(٢) لعل الاسم هنا (ابي جعفر) اشتباه، و الصحيح (جعفر)؛ لان ثورة زيد وبيعة الناس له حصلت بعد شهادة الامام الباقر عليه السلام.

(٣) انساب الاشراف/ ج٣/ ص٢٤٠.

(٤) تاريخ الطبري/ ج٨/ ص٢٧٢.

وعلىٰ اثر هٰذه المناقشة انفض بعض انصاره. ورغم أن زيداً رفع شعار «الرضا من آل محمد» الذي ينطوي علىٰ مسار سياسي معين، إلاّ أن بعض الشيعة طلب تفسيرات مفصلة لهٰذا الشعار، فحصل الاختلاف بينهم وبين زيد.

ثانياً:

جعل زيد الكوفة مركزاً للثورة، واكتفىٰ من البصرة، وواسط، وغيرهما بمجرد البيعة، أو إرسال الكتب، ولم يكن له فيها افراد بالمستوىٰ الذي يستطيع ان يتفاعل مع الظروف المتحركة، وهٰذا ما أدىٰ الىٰ عدم تحرك تلك الولايات لنجدة زيد.

إن سعة قاعدة الثورة تؤمن تعويضاً عسكرياً، وتموينياً مستمراً، كما تقطع روافد امدادات العدو في الوقت ذاته، وعلىٰ هٰذا الاساس نجد التقدم الملحوظ لحركة ابن الزبير، وحركة محمد بن عبد الله علىٰ قوات النظام الحاكم اذ كلا الحركتين كانتا قاب قوسين أو ادنىٰ، من الانتصار النهائي لولا بعض الاخطاء التي حصلت، وكرست الوضع لصالح الجانب الاموي.

ثالثاً:

لم يستطع زيد المحافظة علىٰ سِرِّية حركته رغم حرصه علىٰ ذلك، فقد اخترقت عيون والي الكوفة جدار السرية، وكشفت نوايا زيد، وتم إيصال هٰذه المعلومات الىٰ يوسف بن عمر[1].

---

(١) تاريخ الطبري/ ج٨/ ص٢٧٢.

رابعاً:

لم ينجح زيد في سحب شيعة الكوفة الىٰ ميدان الثورة فطائفة تركته، وطائفة كبيرة حجزت في المسجد، ومن ثَمَّ فان عدد المشاركين في العمل العسكري لم يتجاوز الألف والخمس مئة جندي علىٰ اكثر الاحتمالات.

خامساً:

وهناكَ سبب مهم لفشل الثورة، وهو تردد زيد في فتح ابواب المسجد أمام المحتجزين داخله، ولانعرف ماهو سبب تردد زيد، إذ لم تتحدث لنا الروايات عن عزم زيد علىٰ فتح أبواب المسجد، وفكِّ الطوق عن أهل الكوفة، بل نقلت الروايات أن زيداً بعد أن جاء الىٰ المسجد، والتقىٰ مع فئة من الحرس كُلفت بحماية الأبواب، انسحب، ولم يقم بمحاولات أُخرىٰ فىٰ هٰذا المجال.

ولعل السبب في ذلك أن زيداً شعر أن أهل الكوفة نقضوا عهده كما فعلوا سابقاً بالحسين عليه السلام، حيث قال لنصر بن خزيمة:

«يانصر بن خزيمة، أتخاف أن يكونوا جعلوها حسينية؟ فقالَ له: جعلني الله فداءً لك، أما أنا فوالله لاضربن معكَ بسيفي هٰذا حتىٰ أموت»[1].

وكذلكَ قول زيد لأنس بن عمر: «ما أخلفكم! قد فعلتموها. الله حسيبكم»[2].

---

(١) تاريخ الطبري/ ج٨/ ص٢٧٤.

(٢) المصدر نفسه/ ص٢٧٤.

أقــول ربمـا خطر ذلـك في ذهن زيد فلم يُصِرَّ علىٰ كـســر الابواب، ومواجهة الحرس، بل اكتفي في إشعـار أهل المسجد بثورته وخروجه، حيثُ أدخل أنصـاره الاعـلام من تحت الابواب: «وهـم يقـولون: يا أهل المسجـد، أخرجـوا. وجعل نصر بن خزيمـة يناديهم ويقول: يا أهل الكوفة، اخـرجوا من الذل الىٰ العز، اخرجوا الىٰ الدين والدنيا؛ فإنكم لستم في دين ولادنيا. فأشرف عليهم أهل الشام فجعلوا يرمونهم بالحجارة من فوق المسجد، وكان يومئذٍ جمع كبير بالكوفة ونواحيها»[١].

ومـوقـف زيد هٰذا أشبـه بموقـفه من أنس بن عمـر، حـين وقف زيد علىٰ باب بيته ودعاه للوفاء بالبيعـة، فلم يجب أنس بشيء فتركه زيد. إن استمرار الحصار علىٰ أهل الكوفة فوَّتّ علىٰ زيد فـرصة جمع أنصاره ومؤيديه، ومن ثم كان الفشل العسكري.

سادساً:

رغم توافـر فـرصـة سـريعة امـام زيد لقتل يوسـف بن عمـر حينمـا كـان يراقب زيداً، فإنه لـم يفعل ذلك، وذلك حينما كان زيد يقاتل القوم فـ «ظهر يوسف بن عـمر علىٰ التـل ينظر اليه هو وأصـحـابه، وبين يديه حزام بن مـرة المزني، وزمزم بن سليم الثعلبي، وهما علىٰ المجففـة، ومعه نحو مئتي رجل. والله لو أقبل علىٰ يوسف لقتله»[٢].

---

(١) تاريخ الطبري/ ج٨/ ص٢٧٤.

(٢)المصدر نفسه/ ص٢٧٤، انساب الاشراف/ ج٣/ ص٢٤٦.

فلو كان زيد قد اغتنم هٰذه الفرصة، وقضىٰ علىٰ يوسف بن عمر لكان من المحتمل ان تنتهي الحرب بسقوط الكوفة، بيد أن الامور لم تسر في هٰذا الاتجاه، وظل يوسف يدير الحركة حتىٰ قضىٰ علىٰ زيد (رض).

سابعاً:

أعتمد زيد علىٰ خطة عسكرية قائمة علىٰ أساس ضرب تجمعات أهل الشام، ولم تذكر الروايات أنه اقتحم سجناً أو حصناً، أو قصراً، أو معسكراً. بل ان زيداً وزع قواته وزودهم بتعليمات لضرب تجمعات العدو. بل ان روايات الثورة تنقل لنا أن قوات زيد تحركت في الكوفة بدافع جمع القوات والأنصار، وبالضرورة كانت تصطدم مع قوات الشام. فمثلاً: «سمع نصر بن خزيمة النداء فأقبل اليه، فلقي عمر بن عبد الرحمن صاحب شرطة الحكم بن الصلت، في خيله من جهينة عند دار الزبير بن أبي حكيمة، في الطريق الذي يخرج الىٰ مسجد بني عدي، فقالَ نصر بن خزيمة: يا منصور أمت، فلم يرد عليه شيئاً، فشدَّ عليه نصر وأصحابه فقتل عمرو بن عبد الرحمن، وانهزم من كان معهُ»[1].

اما في يوم الأربعاء فقد عبأ زيد جنده، وتقدم باتجاه جبانة الصيادين حيث كان يجتمع فيها نحو (٥٠٠) جندي من أهل الشام، فهزمهم[2]. وفي ضوء المعارك التي خاضها زيد وأنصاره، يمكن القول أن هدف زيد بن

(١) تاريخ الطبري/ ج٨/ ص٢٧٣.

(٢) انساب الاشراف/ ج٣/ ص٢٤٦.

علي (رض) كان يتركز على إبادة القوات الشاميّة، في الوقت الذي كان يجمع فيه قواته، وقد ظل يجمع هذه القوات على امتداد يوم الأربعاء ففي هذا اليوم «لم يزل تؤوب اليه العدة بعد العدة، ودعا نصر بن خزيمة قوماً من قيس فتتامّ مع زيد الف رجل»[1].

إن هذه الخطة لايمكن أن تنجح للاسباب التالية:

١ ـ قلة عدد قوات زيد.

٢ ـ كثرة القوات الشامية.

٣ ـ امتلاك القوات الشاميّة للسلاح، ومواد التموين.

٤ ـ التموين المستمر بالرجال والسلاح للقوات الشامية، بعكس زيد الذي اخذ جنوده يتساقطون واحداً بعد الآخر دون تعويض.

٥ ـ كانت القوات الشاميّة معبأةً عدةً، وعدداً للقتال، في حين ان قوات زيد كانت متفرقة، وهي تقاتل في الوقت الذي كانت تتعبأ فيه مما جعلها اقل شوكةً من الشاميين.

وفي ظروف كهذه لايمكن ان تنجح عمليات الهجوم السريع، ولابد من اختيار الضربات الموجعة كقتل يوسف بن عمر، أو فك الحصار حول المسجد، الذي لو حصل كان من المحتمل ان يلتحق بعض المحصورين بالثورة، ومن ثمَّ قد تترجح كفة زيد.

---

(١) انساب الاشراف/ ج٣/ ص٢٤٩.

ثامناً:

لابد هنا من ان نتناول موقف أهل الكوفة من زيد ذلك الموقف الذي يمثل اهمية خاصة في عملية الثورة التي خاضها زيد. كما لابد ان ندرس موقف الكوفة السياسي في حكم الامام علي عليه السلام، وموقفها من صلح الامام الحسن عليه السلام وثورة الامام الحسين عليه السلام وذلك لاستيعاب الموقف العام للكوفة من أطروحة الأمامية.

يظهر من بعض كلمات البيت العلوي والبيت العباسي، إن أهل الكوفة لايستطيعون الوفاء بمسؤوليات البيعة وذلك بعد تجربة الامام الحسين عليه السلام معهم. من هنا حين سمع عبد الله بن الحسن (بن الحسن بن علي بن ابي طالب) عن عزم زيد علىٰ الاعتماد علىٰ اهل الكوفة في ثورته كتب اليه: «يا ابن عم إن أهل الكوفة قوم نفج العلانية خور السريرة هرج عند الرخاء، جزع عند اللقاء، تقدمهم ألسنتهم، لايشايعهم قلوبهم لايثبتون بفناء فيرجون، ولايثبتون علىٰ عداوة فيخافون، ولقد تواترت اليَّ كتبهم فصممت عند ندائهم، وألبست قلبي غطاءً عن ذكرهم يأساً منهم واطِّراحاً لهم، وإنما هم كما قال علي رحمه الله تعالىٰ: إن أُهملتم خضتم، وأن حوربتم خرتم، وإن اجتمع الناس علىٰ امام طعنتم، وإن دعيتم الىٰ مشاقة أجبتم»[1].

وبعد مجيء زيد الىٰ الكوفة في قضية دعوة خالد بن عبد الله القسري،

---

(١) انساب الاشراف/ ج٣/ ص٢٤٠.

وانتهاء هٰذه القضية عاد زيد الىٰ المدينة مع داود بن علي العباسي، فلحق أهل الكوفة بزيد وقالوا لهُ: «ارجع معنا وادعُ الىٰ الحق، فإنا نرجو أن يكون الداعي الىٰ الحق هو المنصور، وأن يكون هٰذا الزمان زمان هلاك بني أُمية. فقال له داود حين أراد المضي الىٰ الكوفة وقد اطلع علىٰ أمره: يا أبا الحسين، إن أهل الكوفة أصحاب علي وأصحاب الحسين فاحذرهم، فلم يقبل منه زيد ورجع الىٰ الكوفة مستتراً، فقال له محمد بن عمر بن علي: قد صدقكَ ابن عمكَ فلا تخرج، فلما أبىٰ مضىٰ الىٰ المدينة وتركه»[1].

أما سلمة بن كهيل، وكان من الفقهاء، فقد قال لزيد: «إن أباكَ كان خيراً منك، وقد كان بايعه اكثر ممن بايعكَ، وكان أُولئك خيراً من هٰؤلاء فامضِ لوجهك (أي اذهب الىٰ المدينة ولاترجع الىٰ الكوفة)»[2].

أما سليمان الاعمش فقد نقلوا له رسالة شفهية جوابية علىٰ رسالة بعثها زيد اليه يدعوه فيها للمشاركة في أمره حيث قال في جوابه لزيد: «أني لاأثق لك بالقوم، ولو وثقت لك بثلاث مئة رجل منهم لغيّرنا لكَ جوانبها»[3].

وقد اشار الامام الباقر ﷺ لزيد بأن أهل الكوفة سينكثون عهده وذلك حين استشاره زيد ونصحه بأن لايركن الىٰ اهل الكوفة[4].

ان هٰذه النصائح وما تقدم من روايات في مدح الكوفة وأهلها وانها

---

(١) انساب الاشراف/ ج٣/ ص٢٣٦.

(٢)المصدر نفسه/ ص٢٢٤.

(٣)المصدر نفسه/ ص٢٣٩.

(٤)مروج الذهب/ ج٣/ ص٢٠٦.

حصن أهل البيت المنيع تكشف أن الكوفة أتصفت بطابعين هما:

١ ـ طابع الولاء لأهل البيت عليهم السلام وعزز ذلك اختيار الامام أمير المؤمنين الكوفة مقراً لحكومته والحروب التي خاضها الكوفيون الىٰ جانب امير المؤمنين ضد البغاة وقد استمرت هٰذه الحروب خمس سنوات ورغم بعض حالات الانفصال بين الولاء العقيدي، وبين الالتزام العملي للكوفة، إلاّ أنها ظلت حصن شيعة أهل البيت، ومحبيهم حسب ما وصفهم محمد بن علي بن عبد الله بن عباس في رسالة له الىٰ دعاته، وقد تقدم تفصيل ذلك في الابحاث السابقة وشرحنا الموقع الثوري المتميز الذي احتلته الكوفة علىٰ امتداد العصر الاموي.

٢ ـ طابع الانسحاب عن القيادة الشرعية في ظروف خاصة كما حصل في إمامة الحسن عليه السلام وبلغت ذروة المأساة في قضية الحسين عليه السلام.

وإذْ تبين لنا هٰذان الخطان في الكوفة، عرفنا السر في إقدام زيد علىٰ الكوفة، وقبوله دعوتهم إياه للثورة، والذي يظهر أن زيداً كان يظن ان ظاهرة تراجع الكوفة كان لها ظروفها، ورجالها فلا يمكن أن تتكرر، والذي يشير الىٰ وجود هٰذه الفكرة هي كلمات لزيد في هٰذا المجال، كما يشير اليها سؤاله لنصر بن خزيمة بعد أن شاهد قلة الخارجين معهُ: «يانصر بن خزيمة، اتخاف ان يكونوا قد جلعوها حسينية؟»[1].

لقد كان زيد يعتقد ان الخطأ الذي وقعت فيه الكوفة لايمكن ان يتكرر مرة أُخرىٰ وغاب عنه أنه لو تجددت ذات الظروف التي برزت في تلك الحالات لمارست الكوفة ذات الموقف، وتلونت بالطابع الثاني.

---

(١) تاريخ الطبري/ ج٨/ ص٢٧٤.

وهٰذا ماحصل فإن يوسف بن عمر مارسَ سياسة شبيهة بسياسة عبيد الله بن زياد في مواجهة ثورة الحسين ﷺ، بفارق أنه سجن أهل الكوفة في المسجد، واعتمد في مواجهة زيد علىٰ قوات شامية.

والذي يظهر أيضاً أن زيداً تصور ان الكوفة اخذت درساً من خلال تجربتها في مواقفها من اهل البيت، وان ستين عاماً من السنين القاسية علىٰ أهل الكوفة، كانت كافية في تصحيح الرؤية وتشديد العزيمة.

ولكن النتيجة جاءت علىٰ غير ما حسب لها زيد بن علي (رض) فقد جاء موقف الكوفة امتداداً لتلك المواقف الاستثنائية والسلبية.

وفي الواقع لايمكن تفسير تلك الحالات الشاذة بانها تراجع ونكران لزيد، وحق أهل البيت في القيادة، وذلك لان ديوان زيد أحصىٰ (١٥) ألفاً من الذين بايعوه. انما سبب ذلك هو غلبة الخوف علىٰ اهل الكوفة وحب الدنيا، وعدم المبادرة الىٰ اتخاذ الفعل المناسب في الاوقات الحرجة. ولكن مع ذلك يجب القول ان الذي باشر قتال زيد هم اهل الشام الموجودون في الكوفة اذ ان غالبية القوات المقاتلة كانوا من الشاميين القاطنين في الكوفة، وطائفة من الناس من غير الشيعة، ومن الذين بعثهم هشام بعد أن أخبروه بمبايعة الكوفة لزيد. اما اهل الكوفة أو الكثير منهم الذين بايعوا زيدا فقد سجنهم يوسف بن عمر في المسجد، ولانعلم لو لم يقم يوسف بن عمر بحجز جماهير الكوفة في المسجد أكانت الامور ستجري كما وقعت أم سوف تبرز حالة أخرىٰ في وسط المجتمع الكوفي؟.

نحن لانشك في سقوط الكوفة في أخطاء ولكن ينبغي ان نشير الىٰ اهم

الاسباب التي يمكن اعتبارها سبباً لتلك الاخطاء وهي:

اولاً: قلة الشخصيات المؤثرة في وسط الجماهير.

ونقصد بالشخصيات الافراد الذين يتمتعون بنفوذ، ومقام في وسط قومهم.

صحيح أنه توجد شخصيات حيوية، وفاعلة في مستوىٰ ايمانها، وصدق عزيمتها الاّ ان عددها قليل، مضافاً الىٰ ان العدو استطاع ان يقضي علىٰ الكثير من الشخصيات المؤثرة، وبقيت القيادة تعتمد علىٰ القلة من هٰؤلاء، فمثلاً استطاع معاوية ان يتخلص من عمار بن ياسر، ومن مالك بن الأشتر، ومن محمد بن أبي بكر في عهد الامام علي عليه السلام، ومن حجر بن عَدِي ومن خيرة الرجالات، والقادات الثورية بعد توليه السلطة.

إنَّ هٰذه المفاصل تؤدي دوراً كبيراً في ذلك الوسط الذي لم تتعمق فيه بعدُ الرؤية القيادية الكاملة، حيث تشدّ الجماهير الىٰ القيادة، والىٰ اجراءاتها الثورية. مثلاً لاحظنا كيف ان سليمان بن صرّد أبدىٰ الاستعداد الكامل لتحريك الجماهير ضد معاوية بن ابي سفيان.

وفي حوار بين الامام علي عليه السلام وبين مجموعة من جيشه:

«تكلم الناس من كل ناحية، ولغطوا، وقام رجل منهم فقالَ بأعلىٰ صوته: استبان فَقْدُ الاشتر علىٰ اهل العراق، أشهدُ لو كان حياً لقل اللغط، ولعلم كل امرئ ما يقول. فقال علي عليه السلام: هبلتكم الهوابل أنا أوجب عليكم حقاً من الأشتر، وهل للاشتر عليكم من الحق الاّ حق المسلم علىٰ المسلم»[1].

هٰذا الحوار يكشف عن موقع هٰؤلاء الاشخاص عند اهل العراق في بيان

(١) شرح نهج البلاغة/ ج٢/ ص٩٠.

موقع القيادة، من خلال دفع الجماهير للتمسك بها، والانصياع لتعاليمها.

ثانياً: وجود المحاور العميلة في صفوف الكوفة

فان هٰذه المحاور راحت تعمل علىٰ تثبيط العزائم، وعلىٰ إفشال مواقف الامام، ومن ثَمَّ إثارة موجة من التشكيك في سلامة مواقف القيادة.

ثالثاً: انخفاض المستوىٰ الفكري لدىٰ عامة الجماهير الموالية للامام عليه السلام.

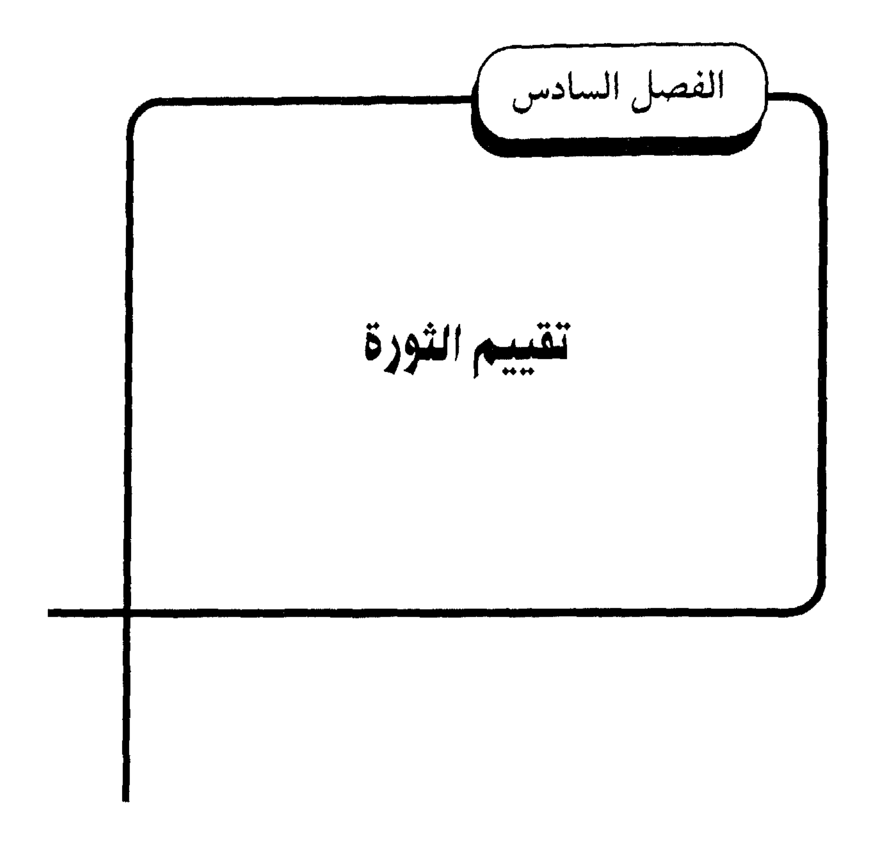
والبساطة في التعامل مع شخص الامام القائد، بحيث استطاعت فتنة رفع القرآن أن تنقض عزمهم وتُكره الامام علي علىٰ إجابة معاوية الىٰ تلك الخدعة!!.

رابعاً: الجهل، والسطحية اللذان أوجدا فئة الخوارج حيث انفصل فئة من قوات الامام وراح يتهم الامام في موقفه في مسألة التحكيم وذلك نتيجة الجهل في النظر الىٰ الاحداث.

اقول: هٰذا الجهل شكل عاملاً كبيراً من عوامل ضعف ارتباط الجماهير بالقيادة الشرعية.

إن هٰذه العوامل: «الجهل، قلة المفاصل الحيوية الموالية للامام، وجود العناصر العميلة في صفوف الامام» تشكل الجذور الخلفية لجميع تلك المواقف السلبية خصوصاً اذا عرفنا حجم شراسة العدو، واستعداده لعمل كل شيء من أجل استلام الحكم، وإسقاط حكومة الإمام.





الفصل السادس

تقييم الثورة



حين نقيِّم أية ثورة، لابد ان يكون ذلك في ضوء اهداف الثورة، وحجم المكاسب التي أنجزتها. وليس علىٰ مقياس الوصول أو عدم الوصول للسلطة.

وفي الواقع أن ثورة زيد تختلف اختلافاً جذرياً عن الثورات التي حصلت في التاريخ الاسلامي، في عهد الامامة الشرعية وذلك لإن معارضة الطاغوت في ظل شروط معينة عند أهل البيت وظيفة شرعية، وليست عملية سياسية، تستهدف الوصول للسلطة فحسب. وتلك الوظيفة هي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. وحين تكون المعارضة وظيفة شرعية لايحزن الثائر اذا لم ينجح في الوصول الىٰ السطة، لانها ليست هدفاً بحد ذاتها، وإنما الهدف هو الامر بالمعروف، وبسط العدل، وتطبيق احكام الله.

وصاحب القيم الذي يثور من أجلها إنما يؤدي تكليفه الشرعي، سواء حصل الانتصار أم لا. مع ملاحظة ان وظيفته تختلف باختلاف الاحوال والظروف.

واذا كانت الثورة تعبيراً عن التزام شرعي في إطار رؤية رسالية فإن الحكم بنجاحها ينبغي ان يأخذ حبثياته من مقدار الوفاء بذلك الالتزام. من هنا نرىٰ ان محاولات بعضٍ تقييم ثورة الامام الحسين عليه السلام، أو ثورة زيد بن علي من خلال نتائج الثورة علىٰ المستوىٰ السياسي، نراها ناشئة من عدم إدراك منطلقات الثورة، واهدافها. اذ حين يكون هدف الثورة هو القيام بالوظيفة الشرعية، ينبغي ان تقيّم الثورة من خلال قيمها، وحجم تجسيد تلك القيم في السلوك الثوري. وعلىٰ هٰذا الأساس يمكن ان نحكم بنجاح ثورة زيد رغم فشله العسكري، وذلك لانه خرج بدوافع رسالية، واحتفظ بالمضمون الرسالي لثورته حتىٰ شهادته، وفيما يلي بيان ذلك:

أ ـ اهداف الثورة:

لقد درسنا اهداف ثورة زيد، وقلنا: انها تتمثل في الرغبة في نصرة الرسالة، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن الواضح أن ثورة زيد حققت هٰذا الهدف، حيث ان خروجه بالذات هو نوع من محاربة السلطان الظالم، وهي وظيفة شرعية علىٰ وفق مقاييس الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ففي بدايةّ الثورة حين وقف زيد تحت رايات جنده وهي تخفق قال: «الحمد لله الذي أكمل ديني. والله اني كنت استحي من رسول الله صلى الله عليه وآله، ان ارد عليه الحوض ولم آمر بالمعروف»[١].

وقبل الثورة يكشف عن حجم ابتعاد الامة عن الاسلام بقوله: «يامعشر

(١) ثورة زيد/ ص١١٨.

قريش، هٰذا الدين قد ذهب، أَفَذَهبت الاحساب؟!»[١].

واذا كانت أهداف الثورة هي النهي عن المنكر، والامر بالمعروف، فإن نجاحها يتقوم بحجم الالتزام بهٰذه الوظيفة. والوصول الىٰ السلطة عند زيد لايمثل الهدف الاساسي من ثورته.

ب- ومن خلال متابعة زيد في منحنيات الثورة، نجده تمسك بقيم الشريعة، وأحكام الرسالة، ولم يتخلَّ عن تلك الاحكام رغم ضغط الظروف عليه. فهو رفض مشاركة النساء له في الثورة، حين عرضْنَ ذلك علىٰ زيد، وتلا عليهن آية ﴿وَقَرْنَ في بُيوتِكُنَّ﴾[٢]. وذلك لان الثورة خروج بالسلاح ومواجهة العدو في الميدان وهٰذا اللون من الجهاد لايناسب المرأة ولم يقبل مشاركة أحد من المماليك في الثورة، الاّ بإذن سيده، وأرجع بعضاً منهم[٣].

ومن هٰذه السلوكيات والمواقف، يتضح ان زيداً تمسك بالقيم الاسلامية في ممارسة الثورة. وهٰذا بحد ذاته يشكل آية علىٰ نجاح الحركة.

وفي هٰذا الضوء نحكم علىٰ ثورة زيد بالنجاح، لانها انطلقت بدافع الالتزام بالوظيفة الشرعية، وحافظت علىٰ الالتزامات الشرعية في مسارها العسكري، والسياسي.

ومع كل هٰذا فإن عطاء الثورة بحد ذاته، يكشف عن حجم تأثير الثورة في الحياة السياسية للامة، من هنا ينبغي ان ندرس عطاء الثورة في حياة

(١) الطبري/ ج٨/ ص٢٦٣.

(٢) انساب الاشراف / ج٣ / ص٢٤٨.

(٣) المصدر نفسه / ص٢٥٠.

الأمة، لكي نرسم الصورة الكاملة لأهمية ثورة زيد في التأريخ السياسي للأمة.

ويمكن دراسة تلك العطاءات ضمن الفقرات التالية:

اولاً: تعميق صلة الامة بأهل البيت.

ثانياً: القاء الضوء علىٰ طبيعة الحكم الأموي المنحرف.

ثالثاً: اذكاء روح الثورة في الأمة.

ولنتناول هذه العطاءات بموجز من الحديث :

أولاً: تعميق صلة الأمة بأهل البيت:

إن معرفة القيادة الشرعية المتمثلة بائمة أهل البيت عليهم السلام، قضية في غاية الاهمية، لان معرفة أهل البيت، باعتبارهم القيادة الشرعية، مقدمة ضرورية لتعميق الولاء العقيدي والسياسي للامام. اذ بدون معرفة أهل البيت، بوصفهم أصحاب الحق الشرعي، لايستطيع الامام ان يمارس دوره علىٰ مستوىً عام. صحيح أنّ الامام مارس دوره السياسي والتوجيهي في جميع الظروف، بيد أن من الضروري بيان حقانية أهل البيت، وتوسيع دائرة فعل الامام، ونفوذه في حالة عدم استلام السلطة، ومن أجل توسيع دائرة التطبيق الاسلامي، ونشر القيم الاسلامية في وسط الأمة.

إن معرفة الامة بالامام تساهم في منع السلطات الظالمة من تصفية الامام جسدياً. فلو كانت معرفة الامة بالامام معرفة شاملة لغالبية افراد الأمة، ومعرفة عميقة في أطار وصفهم الشرعي، لكان من الممكن ان لاتصير الامور الىٰ ماوصلت اليه في حكومة ايام ابي جعفر العباسي، حيث ظل الامام

الصادق ﷺ يمارس التقية في حقل الساحة السياسية. وظل الامام الكاظم في غياهب السجون في ايام الرشيد العباسي زهاء اربعة عشر سنة.

إن معرفة الامام ليست فقط ضرورية لممارسة الامام دروه السياسي علىٰ مستوىٰ استلام السلطة، أو علىٰ مستوىٰ مواجهة السلطة الظالمة، بل ضرورية من أجل ربط الامة بالامام حتىٰ في حالات عدم تصدي الامام لمواجهة السلطة الظالمة، أو لممارسة السلطة لسبب من الأسباب. ولذلك لان السلطة ليست هي القناة الوحيدة لمعرفة الاسلام، وتطبيق احكامه، وخاصة في تلك الفترة التاريخية. حيثُ تتاح فرص عديدة لممارسة الامام مسؤوليته الشرعية، في قيادة الامة بشكل من الاشكال. أن هٰذا الدور يتبع بحجم معرفة الأمة بأمامها، ومدىٰ طاعتها له.

ولأهمية معرفة الامام في الحقل السياسي، وفي حقل الالتزام بشريعة الله، نلاحظ تركيز الاعلام الاموي علىٰ تشويه مقام أئمة أهل البيت، والحرص علىٰ النيل منهم امام الناس. صحيح أن الأمة تعرف مقام اهل البيت، ولكن الاعلام المركز لن يخلو من تأثير وتشويه للحقائق. بل ان الاعلام الاموي استطاع ان يخلق أُطراً ثقافية، وسياسية معادية لخط أهل البيت. من هنا تأتي أهمية معرفة الامام باعتبارها مقدمة للالتزام بأوامره، ولتأمين فرص ممارسة دوره السياسي في جميع الظروف. وكذلك تأتي أهمية ثورة زيد بن علي، الذي هو من أعمدة أهل البيت، ويمثل ثقلاً سياسياً، واجتماعياً في الأمة.

وشخصية علىٰ هٰذا المستوىٰ، حين تخرج، تطالب الناس بالبيعة علىٰ

اساس الرضا من آل محمد، وتنتهي بفاجعة عظيمة في الأمة، سوف تفتح عيون الامة، وقلوبها، وعقولها علىٰ اهل البيت، ومن ثَمَّ معرفة اهل البيت بأعتبارهم القيادة الشرعية، وحجج الله في الارض.

ثانياً: القاء الضوء علىٰ حقيقة البيت الاموي

ومعرفة حقيقة الفئات الحاكمة هو الآخر يشكل ضرورة حيوية علىٰ المستوىٰ السياسي، اذ مادامت الامة لاتعرف حقيقة البيت الاموي، فانها سوف تعتبر الحكام الامويين خلفاء الرسول ﷺ، كما يُطرح الحاكم بهٰذا العنوان، ومن ثَمَّ سوف تضيع الحقيقة في وسط هٰذا الخداع الاعلامي الشامل.

وفي الواقع أن معرفة الحكام بوصفهم فئة غاصبة للحكم، يشكل الجناح الآخر لإستكمال الوعي السياسي للامة. بيد أن معرفة الحكام الامويين، واختراق الحاجز الاعلامي، ليس بالامور السهلة اذا كانت الامور تسير بشكل رتيب، وعادي. اما لوحصلت هزة في الوسط السياسي، فإن التعامل معها من قبل الحكام الامويين كفيل ببيان حقيقة اتجاهاتهم. وهٰذا ماصنعته ثورة الامام الحسين عليه السلام من قبل وهو ما صنعته ثورة زيد، مع الاحتفاظ بالفارق بين حجم كشف وتأثير كلا الثورتين، في الحياة السياسية للأمة.

من هنا نعرف أن ثورة زيد شكلت امتداداً ثورياً لخط الامام الحسين، في تعرية حقيقة الحاكمين، وكشف طبيعة سلوكهم السياسي. بالاضافة الىٰ السلوك الفردي المناقض للشريعة. إذ إن عالماً من علماء آل محمد، حين يفجر الثورة المسلحة ضد السلطان، سوف ينبه الأمة علىٰ حقيقة السلوكيات

الشاذة للحكام الامويين، بالصورة التي دفعت الىٰ شهر السلاح ضدهم.

ثالثاً: اذكاء روح الثورة في الأمة

عرفنا في النقطتين السابقتين، أن ثورة زيد أشعرت الامة بموقع أهل البيت علىٰ المستوىٰ العملي، وانهم القادة الشرعيون للامة الذين يتألمون لهم، ويسعون لأسعادهم. وكذلك كشفت لها حقيقة الحكام الامويين.

وهنا يأتي العطاء الآخر للثورة الذي شكلت النقطتان السابقتان ارضيتَهُ، وهو إذكاء روح الثورة في الأمة، ووضعها في خط المواجهة مع الطاغوت.

إذ إن اكتشاف الامة للامام الشرعي من جهة، ومعرفتهم حقيقة الحكام الامويين من جهة أُخرىٰ، سوف يدفع الأُمة الىٰ ممارسة خط النقد، والمعارضة، وعدم الركون الىٰ الدعة والاستقرار، تحت ستار عدم معرفة الامام، او تحت ستار الصلاح الظاهر للحاكم الأمويين، أو عدم مواجهة الامام الباقر عليه السلام او الصادق عليه السلام للفساد الاموي. وهم اصحاب الحق الشرعي، فكيف يتحرك غيرهم؟.

هٰذه التبريرات سقطت بحركة أهل البيت. فبالأمس القريب حطم صوت الامام الحسين عليه السلام طوق الارهاب والخضوع حيث ضرب المثل الاعلىٰ في مواجهة السلطان الظالم ورفض الخضوع له. وها هو حفيده زيد يقوم بهٰذا الدور، بعد مشاورة الامام الصادق عليه السلام، والواقع ان ثورة زيد، ودورها في اذكاء روح الرفض جاءت في موقعها المناسب، وذلك لان لهيب الثورة، والرفض المقدس، الذي أوقده سيد الشهداء الحسين بن علي في عام

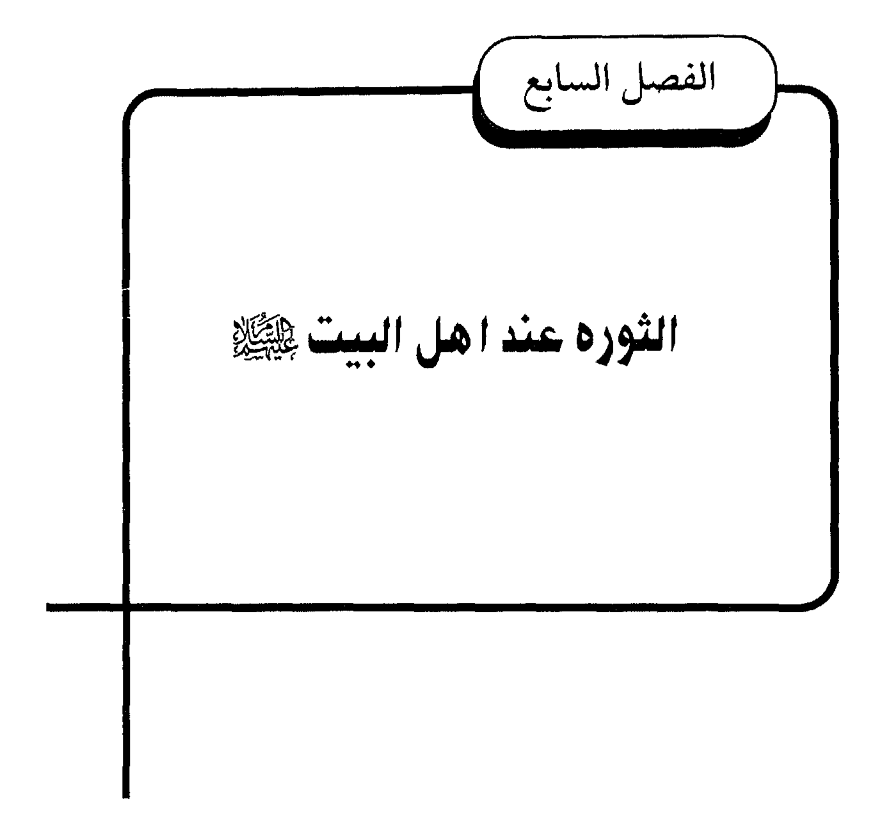
(٦١هـ) كاد الحكام الامويون ان يطوقوا امتداده، ويوقفوا تأثيره. ومع مرور الاعوام الطويلة من عام (٦١ هـ) الىٰ عام (١٢٠هـ) مال الناس الىٰ الدعة، والقبول بالامر الواقع. فجاءت ثورة زيد للتذكير بالقيم التي استشهد من اجلها الامام الحسين عليه السلام، وللتذكير بضرورة القيام بالوظيفة الشرعية، حين تصل الامور الىٰ الحدود المناقضة للاصول الاسلامية، التي وصلت اليه في عهد الحكام الامويين.

فتواصلت ثورة زيد مع ثورة الامام الحسين، وعمقت مفهوم معارضة السلطان الظالم، والتصدي للانحرافات العقائدية، والسياسية التي تنبع من وجود الحكام الامويين علىٰ رأس السلطة. ومن ثَمَّ عمقت مفهوم الشهادة في وجدان الأمة، وأزاحت عنها ذلك الغبار الغليظ من الانحراف، والتشويه الذي انتشر علىٰ يدي السلطات الظالمة، ومريديهم من وعاظ السلاطين، والكسبة من اهل الحديث والعلم.

ومن هنا نعرف السر في امتلاء التاريخ السياسي للاسلام بالثورات المضادة التي قادها المقربون من أهل البيت بعد شهادة زيد.

اذ لم تهدأ الساحة السياسية بعد شهادة زيد، ولم تخمد حرارة الثورة حتىٰ أطاحت بالحكم الاموي بعد اثنتي عشرة سنة من شهادة زيد، بفعل الثورات المتتالية ضد التسلط الاموي.

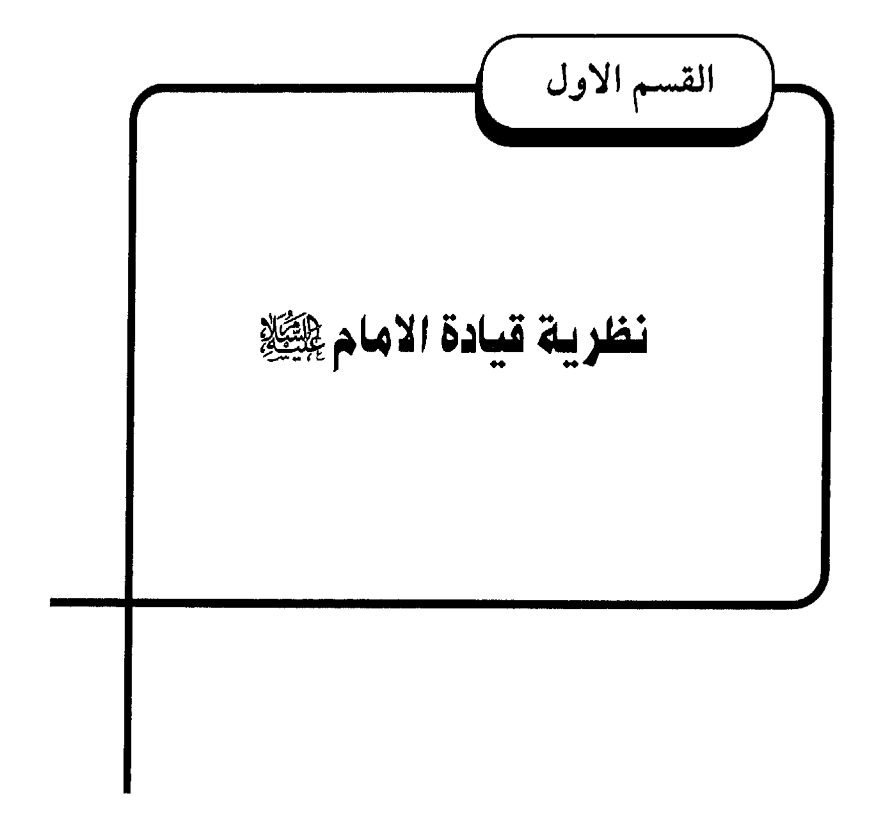
هٰذه عطاءات ثورة زيد. وهي كفيلة بإقناع الباحث بأهمية هٰذه الثورة في حياة الامة، ودورها المؤثر في الاوضاع السياسية بشكل عام.



الفصل السابع

الثوره عند اهل البيت عليهم السلام





القسم الاول

نظرية قيادة الامام عليه السلام



في هٰذا الفصل نتناول موقف الامام الصادق ﷺ من ثورة زيد، وموقف زيد من الامام ﷺ ونبين العلاقة الوثيقة بينهما. وهٰذا هو محتوىٰ القسم الثاني الذي يقع في بابين.

اما القسم الآخر من البحث، فهو يتناول فكرة الامامة، ووظيفة الامام في تولي السلطة، وفي قيادة المجتمع، وبعض الافكار الأُخرىٰ المرتبطة بمنصب الامامة، وهٰذا هو القسم الاول الذي يقع هو الآخر في بابين هما:



الباب الاول:

تولي السلطة: وظيفة شرعية

الذي يدرس المواقف السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام بدءاً من مواقف أمير المؤمنين، ومروراً بمواقف سائر الأئمة، يرىٰ ان الامام لايحرص علىٰ تولي السلطة في جميع الظروف، والتقادير. فالامام تارة يصمت، وأُخرىٰ يرفض البيعة الخاصة، ويطالب بالبيعة العامة، كما فعل امير المؤمنين، وثالثة تأتيه السلطة ولكنه يرفضها ويقبل ولاية العهد.

إن السلطة عند أهل البيت مسؤولية شرعية لقيادة المجتمع الاسلامي، وتنفيذ حاكمية الله وتحقيق العدل الاجتماعي فهي تنطوي علىٰ المسؤولية ولايرىٰ الامام الجوانب المغرية من السلطة كالجاه، والمال والنفوذ بل ان التعلق بهٰذه الامور منافٍ مع منصب الامامة.

«فعن امير المؤمنين عليه السلام قال: إن الله جعلني اماماً لخلقه، ففرض عليَّ التقدير في نفسي ومطعمي ومشربي وملبسي، كضعفاء الناس كي بقتدي

الفقير بفقري ولايُطغي الغنيَّ غناه»[١].

«وعن المعلىٰ بن خنيس، قال: قلت: لابي عبد الله عليه السلام يوماً: جُعلتُ فداك، ذكرت آل فلان وماهم فيه من النعيم، فقلت: لو كان هٰذا اليكم لعشنا معكم. فقال: هيهات يامعلىٰ، أما والله أن لو كان ذاك ما كان الاسياسة الليل وسياحة النهار، ولبس الخشن، وأكل الجشب فزوي ذلك عنا. فهل رأيت ظلامة قط صيرها الله تعالىٰ نعمة الا هٰذه؟»[٢]. واذا كانت السلطة مسؤولية شرعية فرضها الله علىٰ الامام، لتوجيه الناس الىٰ طاعة الله، فإن الأمة مكلفة أيضاً بالرجوع الىٰ الامام الشرعي، وعدم السماح لتجار السياسة بتولي الامور، وإبعاد الامام عن مقامه الشرعي.

ومن هنا يتضح إن الامام لايلهث وراء السلطة ولايسعىٰ لاستلامها بأي ثمن، وإنما يتوخىٰ دائماً وسائل مبدئية لتولي الامور، وتحقيق الاهداف الرسالية صحيح ان الامام يهمهُ رعاية الأمة وهدايتها، ولكن ليست ثمة ملازمة بين ذلك وبين استلام السلطة بأية وسيلة وبأي ثمن[٣].

ومن هٰذا المنطلق نفهم السر في صلح الامام الحسن عليه السلام مع معاوية، ورفض الامام الصادق عليه السلام دعوة أبي مسلم الخراساني، ومن بعده دعوة

(١) الكافي/ ج١/ ص٤١٠.

(٢)الكافي/ج١/ ص٤١٠.

(٣)لكن لايخفىٰ ان السلطة تتيح للامام والامة اقامة الاسلام عملياً بشموله. ولكن لو لم يظفر الامام بالسلطة، فلابد من القيام بما يمكن القيام به لحماية الشريعة، وحفظها وبيان معالمها، وتطبيق مايمكن تطبيقهُ منها. وهٰذه المسؤوليات ايضاً من مسؤوليات الامام.

أبي سَلَمَة الخلال لتولي الامر، ورفض الامام الرضا ﷺ ولاية العهد، الىٰ أن اكره على القبول.

فالامام الحسن ﷺ ادرك انخفاض الوعي الاسلامي في صفوف مؤيديه، بل وانشقاق بعضٍ عليه، ومبايعة معاوية سراً، وانسحاب الكثير من معسكره الىٰ خط معاوية، ولم يبق في صفه العدد الكافي لمواجهة معاوية، فآثر الصلح لحفظ المكاسب الاسلامية أمام موجة معاوية الجاهلية.

والامام الصادق ﷺ، رأىٰ أن القاعدة التي يريد الخراساني أو الخلاّل توظيفها لحساب الامام الصادق، لم تستوعب قيم الامامة ومفاهيم الرسالة من خلال مدرسة أهل البيت، فلا يمكن الاعتماد عليها في الاطاحة بالطاغوت، وإقامة حكم الله اذ قد تترك الامام وحيداً اثناء المواجهة مع الطاغوت، الامر الذي يؤدي الىٰ نكبة اخرىٰ للامة، اضافةً الىٰ نكبتها في سيطرة الطاغوت[1]. أو قد يهدف ذلك الطلب الىٰ الاستفادة من الامام مؤقتاً، ريثما يظفر طلاب الحكم بالسلطة، وبعد ذلك يعملون علىٰ التخلص من الامام. كما فعلوا ذلك مع بعض انصارهم.

صحيح ان للامام حقاً شرعياً في قيادة الامة، ولكن تنفيذ ذلك الحق عملياً بحاجة الىٰ قاعدة شعبية توفر للامام الفرصة العملية في قيادة المجتمع. اذ بدون قاعدة شعبية سوف تكون السلطة عملياً في قبضة الغاصبين لمنصب الامامة، ، لكن حيث ان حق الامام في السلطة ناشئ من النص، فإن حدود

---

(١) راجع: الشهيد الصدر، اهل البيت تنوع أداور ووحدة هدف، ص١٥ ومابعدها.

القاعدة الشعبية ليس بالضرورة يجب ان يسع كل الامة، أو غالبيتها بل يكفي حصول العدد اللازم لتمكين الامام من تولي مسؤولياته القيادية في جميع الظروف المتابينة.

وفي ضوء هٰذا التحليل نخلص الىٰ الافكار التالية:

١ ـ إن السلطة بحد ذاتها، اذا لم تهدف الىٰ نشر معالم الدين، فهي من الدنيا، ومن ثَمَّ فهي مرفوضة من قبل الامام المسؤول عن بيان الدين، وهداية الناس، وتطبيق حكم الله.

٢ ـ بما إن السلطة وسيلة لتطبيق احكام الله، فلابد ان تبرهن الامة علىٰ اخلاصها في ولاية الامام، والاعراض عن الظلمة في جميع الاحوال[١]. أما الامام فهو يشخص الوقت المناسب لرفع السلاح ضد ولاة الجور.

٣ ـ ان ممارسة الولاية تتيح القوة اللازمة لتنفيذ الحكم الالهي، وتتيح دائرة أوسع لتطبيق الشريعة، وفرصاً افضل لتحقيق العدل الاجتماعي، وهداية الناس.

---

(١) راجع كتاب: (تلخيص الشافي) للشيخ الطوسي/ ج١/ ص٩٧. فالامام اذا أمر الأمة بالسكون، فلابد ان تسكن، واذا أمرها بالحركة، فلابد ان تتحرك لان نظر الامام حجة علىٰ الأمة، اذ قد يرىٰ المصلحة في السكون، كما قد يرىٰ المصلحة في الحركة.

الباب الثاني:

الامامة وظيفة الامام في المجتمع الاسلامي

إن الامامة عند أهل البيت ليست مقاماً سياسياً فحسب، بل هىٰ ايضاً منصب رباني، واختيار الهي لشخص الامام، فتولي السلطة لايسبغ علىٰ صاحبها صفة الامامة اذا كان فاقداً لشروطها.

فلابد من بيان بعض خصوصيات الامام، وأُسلوب معرفته، ضمن النقاط التالية:

اولاً: صفات الامام

للامام صفات خاصة به لايشاركهُ فيها غيره، وذلك لانه مسؤول عن هداية الامة، وتربيتها علىٰ القيم، والمفاهيم القرآنية، فمن كلام للامام الباقر عليه السلام قال: «كلنا نهدي الىٰ الله»[1]. وقال وهو يشير الىٰ مجموعة من المتصدين للفتوىٰ: «هٰؤلاء الصادّون عن دين الله بلا هدىٰ من الله، ولاكتاب مبين. إن هٰؤلاء الاخابث لو جلسوا في بيوتهم، فجال الناس فلم يجدوا أحداً يخبرهم عن الله تبارك وتعالىٰ وعن رسول الله صلى الله عليه وآله، حتىٰ يأتونا فنخبرهم عن الله وعن رسول صلى الله عليه وآله»[2]. وعن ابي عبد الله عليه السلام في تفسيره لآية

(١) الكافي/ ج١/ ص٥٣٦.

(٢) المصدر السابق/ ج١/ ص٣٩٣.

﴿ولكل قوم هادٍ﴾ قال: «كل إمام هادٍ للقرن الذي هو فيهم»[١]. والامام أمين الله في الارض، وخازن علمه وحجته على عباده بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فعن ابي عبد الله: «قال: نحن ولاة أمر الله، وخزنة علم الله، وعيبة وحي الله»[٢]. وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «والله إنا لخُزّان الله في سمائه وأرضه، لاعلى ذهب ولا على فضة إلّا على علمه»[٣]. وعنه أيضاً: «نحن خزان علم الله، ونحن تراجمة وحي الله، ونحن الحجة البالغة على من دون السماء ومن فوق الارض»[٤].

والأئمة خلفاء الله في أرضه، وأبوابه الى شريعته، وهم معدن التنزيل، ومهبط الملائكة، وهم الحكام على العباد. هذه بعض صفات الامام من أهل بيت العصمة، فالامام يجسد صفات النبي، ويقوم بوظيفة النبي. لكنه يفترق عنه بأن النبي يأتيه الوحي، والامام يُلهم الهاماً، أو يحدَّث تحديثاً ولايوحى اليه[٥].

واجد من الضروري ان أنقل حديثاً مهماً للامام الرضا عليه السلام، يضيء جوانب شخصية الامام ومقامه الرسالي:

«عن عبد العزيز بن مسلم قال: كنا مع الرضا عليه السلام بمرو، فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا، فأداروا أمر الأمامة، وذكروا كثرة

(١) الكافي/ ج١/ ص١٩١.
(٢) الكافي / ج١/ ص١٩٢.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) للمزيد من البيان يراجع شرح الباب الحادي عشر للعلامة الحلي/ ص٦٨.

اختلاف الناس فيها. فدخلت علىٰ سيدي عليه السلام فأعلمته خوض الناس فيه، فتبسم ثم قال: ياعبد العزيز، جهل القوم وخدعوا عن آرائهم. (الىٰ ان قال عليه السلام): إن الامامة هي منزلة الانبياء، وإرث الاوصياء. إن الامامة خلافة الله، وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله، ومقام أمير المؤمنين عليه السلام، وميراث الحسن والحسين عليهما السلام. إن الامامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعز المؤمنين. إن الامامة أُسّ الاسلام النامي، وفرعه السامي. بالامام تمام الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، وتوفير الفيء والصدقات، وإمضاء الحدود والاحكام، ومنع الثغور والاطراف. الامام يحل حلال الله، ويحرم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذب عن دين الله ويدعو الىٰ سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، والحجة البالغة. الامام كالشمس الطالعة المجللة بنورها للعالم، وهي في الافق بحيث لاتنالها الايدي والابصار. الامام البدر المنير، والسراج الزاهر، والنور الساطع، والنجم الهادي في غياهب الدجىٰ، وأجواز البلدان[1]، والقفار، ولجج البحار. الامام الماء العذب علىٰ الظماء، الدال علىٰ الهدىٰ، والمنجي من الردىٰ. الامام النار علىٰ اليفاع[2]، والحار لمن اصطلىٰ به، والدليل في المهلك، من فارقه فهالك. الامام السحاب الماطر، والغيث الهاطل، والشمس المظيئة، والسماء الظليلة، والارض البسيطة، والعين الشفيق والاخ الشقيق، والام البَرَّة بالولد الصغير، ومفزع العباد في الداهية النآد[3]. الامام أمين الله في خلقه،

---

(١) جواز جمع الجوز وهو من كل شيء وسطه.

(٢) اليفاع: مالرتفع من الارض.

(٣) الداهية النآد: المحنة العظيمة.

وحجته علىٰ عباده، وخليفته في بلاده، والداعي الىٰ الله، والذاب عن حرم الله. الامام المطهر من الذنوب، والمبرّأ عن العيوب، المخصوص بالعلم، الموسوم بالحلم، نظام الدين، وعز المسلمين، وغيظ المنافقين، وبوار الكافرين. الامام واحد دهره، لايدانيه أحد، ولايعادله عالم، ولايوجد منه بدل، ولاله نظير. مخصوص بالفضل كله، من غير طلب منه له ولاكتاب، بل اختصاص من المفضل الوهاب»[1].

وهكذا يتضح: ان الامام ليس شخصاً عادياً كسائر أفراد المجتمع الاسلامي، بل هو تجسيد عملي للاسلام. ولكن قد لايتاح لجميع أفراد المجتمع معرفته، الاّ بعد اللقاء والاتصال به من قرب. واذا كان الامر كذلك فإن معرفة الامام، وبيان شخصه لايتمان باختيار الناس، ولابالتصدي للامامة، وإنما يتمّان بالنص. والىٰ هٰذا اشار الامام الرضا عليه السلام في مقاطع اخرىٰ من الحديث السابق. حيث جاء فيه:

و«هل يعرفون قدر الإمامة ومحلها من الامة فيجوز فيها اختيار؟ إن الامامة أجلُّ قدراً، وأعظم شأناً، وأعلىٰ مكاناً، وأمنع جانباً، وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بارائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم. إن الامامة خص الله عز وجل بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة، وفضيلة شرّفه بها وأشادَ بها ذكره، فقال: ﴿إنّي جاعلُكَ للنّاسِ إماماً﴾، فقال الخليل عليه السلام سروراً بها: ﴿ومن ذريتي﴾، قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿لاينالُ عهدي الظالمين﴾ فأبطلت هٰذه الاية إمامة كل ظالم الىٰ يوم

---

(١) الكافي/ ج١/ ص١٨٩.

القيامة، وصارت في الصفوة ثم أكرمه الله تعالىٰ بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة والطهارة، فقال: ﴿ووهبْنا لهُ إسحاقَ ويعقوبَ نافلةً، وكُلاً جعلْنا صالحينَ*وجعلْناهُمْ أئمةً يهدُونَ بأمرنا وأوحَينا إليهِمْ فعْلَ الخَيراتِ وإقامَ الصَّلاة وإيتاءَ الزّكاةِ وكانُوا لنا عابدينَ﴾.

الىٰ ان قالَ عليه السلام:

«فمن ذا الذي يبلغ معرفة الامام أو يمكنه اختياره؟ هيهات هيهات. ضلت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الالباب، وخسئت العيون، وتصاغرت العظماء، وتحيرت الحكماء، وتقاصرت الحلماء، وحصرت الخطباء، وجهلت الألبّاء، وكلت الشعراء، وعجزت الأُدباء وعيَّت البلغاء عن وصف شأن من شأنه، أو فضيلة من فضائله، وأقرت بالعجز والتقصير. وكيف يوصف بكِّله، أو ينعت بكنهه، اويفهم شيء من امره، أو يوجد من يقوم مقامه، ويغني غناه؟ لا، كيف؟ وأنىٰ؟! وهو بحيثُ النجمُ من يد المتناولين، ووصف الواصفين. فأين الاختيار من هٰذا؟ وأين العقول عن هٰذا؟ واين يوجد مثل هٰذا؟. أتظنون أن ذلك يوجد في غير آل الرسول محمد صلى الله عليه وآله؟ كذبتهم والله أنفسهم، ومنتهم الاباطيل، فارتقَوْا مرتقا صعباً دحضاً، تزل عنه الىٰ الحضيض أقدامهم. راموا إقامة الإمام بعقول حائرة بائرة ناقصة، وآراء مضلة، فلم يزدادوا منه الا بعداً ﴿قاتَلَهُمْ اللهُ أنّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[1] ولقد راموا صعباً، وقالوا إفكاً، وضلوا ضلالاً بعيداً، ووقعوا في الحيرة؛ إذ تركوا الامام عن بصيرة، ﴿وزيّن لهم الشيطان أعمالهم

---

(١) ٣٠/ التوبة.

فصدهم عن السبيل، وكانوا مستبصرين﴾[١] رغبوا عن اختيار الله، واختيار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الى اختيارهم، والقرآن يناديهم ﴿وربُّك يَخلقُ مايَشاءُ ويَختارُ ماكانَ لهُمُ الخيرَةُ سُبحانَ الله وتَعالىٰ عَمّا يُشركُونَ﴾[٢]، وقال عز وجل: ﴿وَما كانَ لِمُؤمنٍ ولامُؤْمنةٍ إذا قَضىٰ اللهُ ورسُولُه أمراً أنْ يَكونَ لَهُمُ الخيرَةَ مِنْ أمرهِمْ﴾[٣] وقال: ﴿مالكُمْ كَيفَ تَحكُمونَ*أمْ لكُمْ كِتابٌ فيه تَدرسُونَ*إنَّ لكُمْ فيهِ لَماتَخيَّرونَ* أمْ لكُمْ أيمانٌ عَلينا بالغةٌ إلىٰ يومِ القيامةِ إنَّ لكُمْ لَما تَحكُمونَ* سَلْهُمْ أيُّهمْ بذلك زَعيمٌ*أمْ لهُمْ شُركاءُ فَلْيأتُوا بشُركائهمْ إنْ كانُوا صادقِينَ﴾[٤] وقال عز وجل: ﴿أفَلا يَتَدبَّرونَ القُرآنَ أمْ علىٰ قُلوبٍ أقْفالهُا﴾[٥] أم ﴿طبعَ الله علىٰ قلوبهم فهم لايفقهون﴾ أم ﴿قالُوا سَمِعْنا وهُمْ لايَسْمعُونَ* إنَّ شَرَّ الدَّوابِّ عند الله الصُّمُّ البُكْمُ الذّينَ لايَعقلُونَ*ولَو عَلِمَ اللهُ فيهِمْ خَيراً لأسْمعُهمْ ولَو أسْمعَهُمْ لتَولَّوا وَهُم مُعرِضُونَ﴾[٦] أم ﴿قالوا سمِعْنا وعَصَيْنا﴾[٧] ﴿بل هو فضلُ الله يؤتيهِ من يشاءُ والله ذو الفضلِ العظيم﴾

فكيف لهم باختيار الامام؟!، والامام عالم لايجهل، وراعٍ لاينكل، معدن القدس والطهارة، والنسك والزهادة، والعلم والعبادة؟ مخصوص

---

(١) النمل / ٣٠.

(٢) القصص / ٢٤.

(٣) الاحزاب / ٣٦.

(٤) القلم / ٤٠.

(٥) محمد / ٢٤.

(٦) الانفال / ٢١ـ ٢٣.

(٧) البقرة / ٩٣.

بدعوة الرسول ﷺ، ونسل المطهرة البتول. لامغمز فيه في النسب، ولايدانيه ذو حسب. في البيت من قريش، والذروة من هاشم، والعترة من الرسول، والرضا من الله عز وجل. شرف الاشراف، والفرع من عبد مناف، ناهي العلم، كامل الحلم، مضطلع بالامامة، عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر الله عز وجل، ناصح لعباد الله حافظ لدين الله»

(الىٰ ان قال ﷺ): «فهل يقدرون علىٰ مثل هٰذا فيختارونه؟ أو يكون مختارهم بهٰذه الصفة فيقدمونه؟ تعدّوا، وبيتِ الله، الحقَّ، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون. وفي كتاب الله الهدىٰ والشفاء فنبذوه واتبعوا أهواءهم، فذمهم الله ومقتهم وأنفسهم، فقال جل وتعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن اتَّبعَ هواهُ بغَيرِ هُدىً من الله إنَّ الله لايَهدي القومَ الظّالمينَ﴾. وقال: ﴿فَتَعْساً لهُمْ وأضلَّ أعمالَهُم﴾. وقال: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عندَ الله وعندَ الذّينَ آمَنوا كذلكَ يَطبَعُ اللهُ علىٰ كُلِّ قَلبِ مُتكبّرٍ جبّارٍ﴾. وصلىٰ الله علىٰ النبي محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً»[1].

وفي ضوء هٰذا الحديث نعرف أن إمامة أهل البيت ﷺ لاتخضع لاختيار الناس، فلو أن شخصاً تصدىٰ للامامة وبايعه الناس، لما إماماً تجب طاعته شرعاً، إلاّ اذا كان ذلك الشخص هو الامام الشرعي الذي دلت عليه النصوص[2].

---

(١) الكافي/ ج١/ ص١٩٨ ـ ٢٠٣.

(٢) هٰذا التحديد ينطبق علىٰ عصر الحضور، أما في عصر الغيبة فإن تحديد القائد يتم بأساليب أُخرىٰ، وبعنوان نيابته عن الامام الاصل.

الاّ ان هٰذا لايعني ان بيعة الناس للامام شرط في وجوب طاعته، اذ ان طاعة الامام واجبة علىٰ كل شخص سواءٌ تولىٰ الامام مقامه السياسي أم حيل بينه وبين حقه الشرعي بالقهر والاكراه.

وهنا يبرز سؤال، هو كيف يمكن للامة معرفة إمامها اذا كان للامام صفات خاصة، وهوشخص محدد الاسم، والخصائص. مع ان النصوص الدالة علىٰ الإمام تتناقل ضمن دائرة ضيقة من المقربين، ومحارَبة من سلطان العصر؟.

والجواب هو أن معرفة الامام تتم بما يلي:

١ـ تعريف الامام السابق بالامام اللاحق، للاشخاص الذين يثق بهم. إذ بدون هٰذا التصدي من الامام السابق قد لايعرفه أقرب المقربين، فضلاً عن البعيدين عن دائرة اهل البيت[1].

٢ـ قد لايعرف بعض المؤمنين بخط أهل البيت ﷺ الامام اللاحق، لعدم استماعهم للنص عليه. ففي هٰذا الفرض لابد من معجزة تدل علىٰ الامام، وتكون علامةً عليه اذا رأىٰ الامام مقتضىً لذلك، أو آمن من عيون الاعداء.

٣ـ طريق الاستدلال العقلي عن طريق اصحاب الائمة، لتحديد شخص الامام في المناطق يحضرون فيها.

وهٰذا الاسلوب في بيان شخصية الامام، دفع اليه الائمة ﷺ أهل العلم والعقل من ثقاة الشيعة. وقد مارس الأئمة هٰذا الاسلوب؛ لأنه يبعد عنهم

---

(١) راجع الكافي/ ج١/ ص٣٠٩، وج٦/ ٣١١، وج١/ ٣٢٠.

عيون السلطة من جهة، ولأنه اكثر نفوذاً، وتأثيراً في الناس من جهة أخرىٰ.
ولأهمية هٰذه الفقرة نذكر الرواية التالية:

«عن يونس بن يعقوب قال: كنت عند ابي عبد الله عليه السلام فورد عليه رجل من اهل الشام فقال: اني رجل صاحب كلام وفقه وفرائض وقد جئت لمناظرة اصحابك فقال ابو عبد الله عليه السلام كلامك من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله أو من عندك؟ فقال: من كلام رسول الله ومن عندي. فقال أبو عبد الله عليه السلام: فأنت اذاً شريك رسول الله صلى الله عليه وآله! قال: لا. قال: فسمعت الوحي عن الله عز وجل يخبرك؟ قال: لا. قال: فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: لا. فالتفت أبو عبد الله اليّ فقال: يايونس بن يعقوب، هٰذا قد خصم نفسه قبل أن يتكلم، ثم قال: يايونس، لوكنت تحسن الكلام كلمته. قال يونس: فيا لها من حسرة! فقلت: جعلت فداك اني سمعتكَ تنهىٰ عن الكلام وتقول: ويلٌ لاصحاب الكلام، يقولون: هٰذا ينقاد وهٰذا لاينقاد، وهٰذا ينساق وهٰذا لاينساق، وهٰذا نعقله وهٰذا لانعقله. فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنما قلت: فويل لهم إن تركوا ما أقول وذهبوا الىٰ ما يريدون.

ثم قال لي: اخرج الىٰ الباب فانظر من ترىٰ من المتكلمين فأدخله. قال: فأدخلت حمران بن أعين، وكان يحسن الكلام، وأدخلت الاحول، وكان يحسن الكلام، وادخلت هشام بن سالم، وكان يحسن الكلام وأدخلتُ قيس بن الماصر، وكان عندي أحسنهم كلاماً، وكان قد تعلم الكلام من علي بن الحسين عليه السلام. فلما أستقر بنا المجلس، وكان أبو عبد الله عليه السلام قبل الحج يستقر أياماً في جبل، في طرف

الحرم في فازة[١] له مضروبة. قال: فاخرج أبو عبد الله عليه السلام رأسه من فازته، فإذاهو ببعير يخبُّ. فقال: هشام وربِّ الكعبة. قال: فظننا أن هشاماً رجل من ولد عقيل، كان شديد المحبة له. قال: فورد هشام بن الحكم، وهو أول ما اختطت لحيته، وليس فينا الا من هو اكبر سناً منه. قال: فوسع له أبو عبد الله عليه السلام وقال: ناصرنا بقلبه ولسانه ويده، ثم قال: ياحمران، كلِّم الرجل، فكلمه فظهر عليه حمران. ثم قال: ياطاقي (ابو محمد بن النعمان الاحول)، كلِّمْهُ، فكلمه فظهر عليه الاحول. ثم قال: ياهشام بن سالم كلِّمْهُ، فتعارفا[٢]. ثم قال ابو عبد الله عليه السلام لقيس بن الماصر: كلِّمْهُ، فكلمه. فأقبل أبو عبد الله يضحك من كلامهما، مما قد أصاب الشامي. فقال للشامي: كلِّمْ هٰذا الغلام، يعني هشام بن الحكم، فقال: نعم. فقال لهشام ياغلام، سلني في إمامة هٰذا (أي ابو عبد الله عليه السلام)، فغضب هشام حتىٰ ارتعد، ثم قال للشامي: ياهٰذا، أربك أنظر لخلقه أم خلقه لانفسهم؟ فقال الشامي: بل ربي أنظر لخلقه. قال: ففعل بنظره لهم ماذا؟ قال: أقام لهم حجة ودليلاً؛ كيلا يتشتتوا أو يختلفوا، يتألفهم ويقيم أودهم ويخبرهم بفرض ربهم. قال: فمن هو؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وآله. قال هشام: فبعد رسول الله صلى الله عليه وآله قال: الكتاب والسنة. قال هشام: فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنة في رفع الاختلاف عنا؟ قال: الشامي: نعم. قال: فلم اختلفنا أنا وأنت، وصرت الينا من الشام في مخالفتنا إياك؟ قال: فسكت الشامي. فقال:

---

(١) الفازة: الخيمة الصغيرة.

(٢) أي لم يغلب احدهما الآخر وفي بعض النسخ (تعوقا) والمعنىٰ واحد.

أبو عبد الله ﷺ للشامي: مالك لاتتكلم؟ قال الشامي: إن قلت لم نختلف كذبت، وإن قلت: ان الكتاب والسنة يرفعان عنا الاختلاف أبطلت؛ لانهما يحتملان الوجوه. وإن قلت: قد اختلفنا وكل منا يدعي الحق، فلم ينفعنا اذن الكتاب والسنة. إلاّ ان لي عليه هٰذه الحجة، فقال ابو عبد الله ﷺ: سله تجدهُ مليّا. فقال الشامي: ياهٰذا، من أنظر للخلق أربهم أو أنفسهم؟ فقال هشام: ربهم أنظر لهم منهم لأنفسهم. فقال الشامي: فهل أقام لهم من يجمع لهم كلمتهم، ويقيم أودهم، ويخبرهم بحقهم من باطلهم؟ قال هشام: في وقت رسول الله ﷺ أو الساعة؟ قال الشامي: في وقت رسول الله رسول الله ﷺ. والساعة مَنْ؟ فقال هشام: هٰذا القاعد الذي تشد اليه الرحال، ويخبرنا بأخبار السماء والارض وراثة عن اب عن جد. قال الشامي: فكيف لي أن أعلم ذلك؟ قال: هشام: سله عما بدا لك. قال الشامي: قطعت عذري فعلي السؤال»[1].

٤ـ ان القرآن افضل وسيلة للدلالة علىٰ الامام والهداية إليه فهو يبين الامام من خلال مجموعة آيات، يستطيع المسلم الواعيّ ان يتعرّف في ضوئها علىٰ الامام الشرعي حيث بيَّن القرآن بان الظالم لاينال عهد اللهوان اتباع الاشخاص الذين انقادوا للهوىٰ ضلال وضياع وليس هناك غير اهل البيت ﷺ معصومين عن الخطأ واتباع الهوىٰ.

«عن ابي عبد الله في قوله تعالىٰ: ﴿إنَّ هٰذا القرآنَ يَهدي للّتي هيَ أقومُ﴾ قال: يهدي الىٰ الإمام»[2].

---

(١) الكافي/ ج١/ ص١٧١.

(٢)الكافي/ ج١/ ص٢١٦.

ثانياً: كشف الولاء للامام

بعد معرفة الامام لابد من أخذ معالم الدين منه، وإعلان الولاء له.

فعن ابي جعفر ﷺ قال: حين نظر الىٰ الناس يطوفون حول الكعبة: «هكذا كانوا يطوفون في الجاهلية، إنما أُمروا أن يطوفوا بها، ثم ينفروا إلينا فيعلمونا ولايتهم ومودتهم، ويعرضوا علينا نصرتهم»[١].

وعنه ﷺ حين رأىٰ الناس بمكة وما يعملون قال: «فعالٌ كفعال الجاهلية. أما والله ما أُمروا بهٰذا، وما أُمروا إلاّ أن يقضوا تَفَثَهُم، وليوفوا نذورهم، فيمروا بنا فيخبرونا بولايتهم، ويعرضوا علينا نصرتهم»[٢]. وعنه ايضاً أنه ﷺ قال لسدير: «يا سدير، انما أُمر الناس أن يأتوا هٰذه الاحجار فيطوفوا بها، ثم يأتونا فيعلمونا ولايتهم لنا»[٣].

وهٰذه يعني إن الناس مطالبون بالارتباط بالامام، والايمان بأنه القائد الشرعي الذي يدينون لله بطاعته، وكشف هٰذا الولاء له، وعرض نصرتهم عليه.

ثالثاً: طاعة الامام

إن الغرض من الامامة هو سياسة الامة، وبيان احكام الله، ونهوض الحجة علىٰ الناس، وهٰذا يعني ان عدم طاعة الامام يؤدي الىٰ الضلال

---

(١) الكافي/ ج١/ ص٣٩٢.

(٢) الكافي/ ج١/ ص٣٩٢.

(٣) المصدر نفسه. ص٣٩٣.

والضياع. «عن سدير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إني تركت مواليك مختلفين يتبرأ بعضهم من بعض. قال: فقال: وما انت وذاكَ؟ إنما كلف الناس ثلاثة: معرفة الائمة، والتسليم لهم فيما ورد عليهم، والرد اليهم فيما اختلفوا فيه»[1].

وعن ابي عبد الله عليه السلام أنه قال: «من سره ان يستكمل الايمان كله فليقل: القول مني في جميع الاشياء قول آل محمد، فيما أسروا وما أعلنوا، وفيما بلغني عنهم وفيما لم يبلغني»[2]. و«عن زيد الشحام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إن عندنا رجلاً يقال له كليب، فلا يجيء عنكم شيء إلاّ قال: أنا أسلّم. فسميناه كليب تسليم. قال: فترحم عليه ثم قال: أتدرون ما التسليم؟ فسكتنا. فقال: هو والله الإخبات»[3]. وطاعة الامام تعني طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعصيانه كذلك. فالطاعة للامام ليست أمراً مفروضاً علىٰ المسلم الموالي لأهل البيت بحكم النص فحسب، بل هي ايضاً تنبع من اعتقاده الصحيح بأن طاعة الامام هي امتداد لطاعة الرسول.

رابعاً: الانفصال عن أئمة الجور

لقد أُبعِدَ أئمة أهل البيت عن حقهم الشرعي في قيادة المجتمع الاسلامي، وكان ولاة الجور يطرحون أفكاراً، وتشريعات نابعة من

---

(١) المصدر السابق/ ص٣٩٠ ـ ٣٩١.

(٢) المصدر السابق/ ص٣٩٠ ـ ٣٩١.

(٣) المصدر السابق/ ص٣٩٠/ ح٣.

أهوائهم. من هنا كان أهم واجبات الانسان المسلم عند أهل البيت هو التنصل، والابتعاد عن أئمة الجور، وعدم مداهنتهم. وذلك لان طاعتهم تشكل انحرافاً عن هدي الاسلام. «عن محمد بن عذافر، عن ابيه قال: قال ابو عبد الله عليه السلام: ياعذافر، نبئت أنك تعامل أبا أيوب والربيع، فما حالك اذا نودي بك في أعوان الظلمة؟ قال: فوجم أبي. فقال له أبو عبد الله عليه السلام لما رأىٰ ما أصابه: أي عذافر، إنما خوفتك بما خوفني الله عز وجل به. قال محمد: فقدم أبي فما زال مغموماً مكروباً حتىٰ مات»[1].

و«عن صفوان الجمال قال: دخلت علىٰ أبي الحسن الاول عليه السلام، فقال لي: ياصفوان، كل شيء منك حسن جميل، ماخلا شيئاً واحداً. قلت: جعلت فداك، أي شيء؟ قال: إكراؤك جمالَكَ من هٰذا الرجل، (يعني هارون). قال: والله ماأكريته أشراً ولابطراً، ولا للصيد ولا للهو. ولكني اكريته لهٰذا الطريق، (يعني طريق مكة)، ولا أتولاه بنفسي، ولكن أبعث معه غلماني. فقال لي: ياصفوان، أيقع كراؤك عليهم؟ قلت: نعم، جعلت فداك. قال: فقال لي: أتحب بقاءهم حتىٰ يخرج كراؤك؟ قلت: نعم. قال: من أحب بقاءهم فهو منهم، ومن كان منهم كان ورد النار. قال صفوان: فذهبت فبعت جمالي عن آخرها. فبلغ ذلك الىٰ هارون فدعاني، فقال لي: ياصفوان، بلغني أنك بعت جمالك. قلت: نعم. قال: ولِمَ؟ قلت: أنا شيخ كبير، وان الغلمان لايقومون بالاعمال. فقال: هيهات هيهات، اني لأعلم من أشار عليك بهٰذا. أشار عليك بهٰذا موسىٰ بن

---

(١) الوسائل/ ج١٢/ ص١٢٨.

جعفر. قلت: مالي ولموسىٰ بن جعفر؟ فقال: دع هٰذا عنك، فوالله لولا حسن صحبتك لقتلتكَ»[1].

«عن حميد قال: قلت لأبي عبد الله ﷺ: اني وليت عملاً فهل لي من ذلك مخرج؟ فقال: ما اكثر من طلب المخرج من ذلك فعسُرَ عليه. قلت: فما ترىٰ؟ قال: ارىٰ ان تتقي الله عز وجل ولاتعد»[2].

وبعد أن ألقينا ضوءاً خاطفاً حول شخص الامام، والامامة، وموقعها في حساب الامام، ووظيفة المجتمع الاسلامي تجاهه، لابد أن نعرف الدور الذي يضطلع الامام بحمله في المجتمع الاسلامي، في ظرف تولي حكام الجور السلطة، كما هو الحال في جميع الأزمنة التي عاش فيها الأئمة، الاّ في بعض الفترات الاستثنائية.

إن الامام بما يملك من قاعدة شعبية، ومواهب ربانية، وموقع اجتماعي متميز، يقوم بمسؤولياته بشكل يرتبط بحجم الضغوط السياسية الموجهة لشخصه، أو لقواعده، وبحجم الفرص المتاحة.

ونحن، تاريخياً، نجد ان أهل البيت ﷺ قاموا بدورهم الرسالي حتىٰ، وهم في أعماق السجون، أو في ظروف العزلة عن الناس، وهنا نريد ان نوضح بعض المسؤوليات الربانية التي حملها الائمة رغم ظروفهم السياسية الصعبة، ضمن النقاط التالية:

---

(١) الوسائل/ ج١٢/ ص١٣١.

(٢) المصدر نفسه/ ص١٣٦.

اولاً: كشف انحراف السلطة

يتفاوت مستوىٰ الوعي الاسلامي للامة الاسلامية في فجر الرسالة الاسلامية في الكم والكيف، وذلك لان الكثير دخل الاسلام بعد وفاة الرسول، ولم يحظ بالعناَية التربوية الخاصة علىٰ يد الرسول ﷺ إلاّ فئة قليلة من المؤمنين.

صحيح ان المجتمع الاسلامي الذي عاصر الرسول ارتفع أفراده الىٰ مستوىً عالٍ في ميدان المعنويات الا ان ذلك الجانب المشرق في حياة الافراد أستند علىٰ الزخم العاطفي الناشئ من التأثر برسول الله ﷺ ولم يستند علىٰ حقائق تربوية في عمق الشخصيات التي عاشت زماناً طويلاً في الحياة الجاهلية.

ومشكلة عدم وعي الاسلام بتفاصيله، وروحه العامة، كان يمكن علاجها لوظفر الامام الشرعي بالسلطة، حيث يستطيع مواصلة عملية التربية التي تولاها الرسول ﷺ. وبيان معالم الدين المرتبطة بعملية التطبيق بعد وفاة النبي، بيد ان الذي حدث هو أن توّلىٰ السلطة غيرُ اهل البيت، مما فوت فرصة استمرار عملية التربية الكبرىٰ التي بدأها رسول الله ﷺ. وفي هٰذا الجو وقف الامام كالطود الشامخ، يكشف الافكار الخاطئة يوضح المواقف الشرعية.

فالامام الحسين ﷺ يضحي بحياته لإدانة النظام الاموي وتعريف الامة بحقيقته واهدافه الفاسدة، والامام الصادق ﷺ يضع الاصول والقواعد

الفكرية والتشريعية للامة الاسلامية. والامام الكاظم ﷺ يزج في غياهب السجون سنيين طويلة لأنه مارس امامته في وسط المجتمع الذي يعتقد بإمامته.

وكل هٰذه المواقف، والتعليمات كشفت للامة انحراف الحكام، وابتعادهم عن الاسلام. وبذلك استطاع الامام ان ينتزع ثياب الشرعية التي يتستر بها الحكام، ويكشفهم علىٰ واقعهم بوصفهم حفنة من طلاب الدنيا والسلطان.

فالامام ﷺ يشكل بوجوده الشريف إدانة عملية لائمة الجور. من هنا نلاحظ السر في اجتهاد المنصور في استحضار الامام الصادق ﷺ. وكذلك اجتهاد المأمون العباسي في تولية العهد لعلي بن موسىٰ الرضا ﷺ. كل ذلك من اجل تغطية الانحراف الذي جعله أئمة الجور منهجاً سياسياً ثابتاً.

ثانياً: حفظ اصول الاسلام

وبما ان حكام الجور لايعرفون الاسلام الا وسيلة للسلطة ولايعرفون شيئاً من مفاهميه، وتشريعاته، فانهم دسوا تشريعات منافية للعدل. وهنا جاء دور أئمة أهل البيت ﷺ في حماية الاصول الاساسية، في مسائل التوحيد، والامامة، والتفاصيل التشريعية. حيث بادروا الىٰ طرح المعرفة القرآنية والفقهية وعلىٰ جميع الأصعدة، وحافظوا بذلك علىٰ نقاء الإسلام بعيداً عن يد التحريف، التي مارسها الجهلاء في المنهج الاسلامي، وتفصيلاته التشريعية والسلوكية.

ثالثاً: قيادة المجتمع الاسلامي

إن عدم تولي الامام السلطة لايسحب جميع فرص العمل في جيمع الجوانب التي تتصل بمنصب الامامة. فقد لايحكم الامام، ولكنّه مع ذلك يمارس واجباته الرسالية تجاه قواعده الشعبية. اذ لايمكن ان ينهىٰ الامام عن تولّي ولاة الجور، ويأمر أنصاره بالانفصال عنهم، ثم مع ذلك يترك تلك القواعد في حالة فوضىٰ.

فالامام يمارس وظيفته الربانية في قيادة حركة الأمة، علىٰ وفق الاتجاه الرسالي بوصفه أمين الله في حلاله وحرامه.

واذا كانت الامة قد أُجبرت علىٰ الانقياد للظلمة بالقوة، فإن الامام يمارس ولايته الشرعية بصورة غير مكشوفة للحكام، وهٰذا يعني ان السلطة ليست هي الوسيلة الوحيدة لقيادة المجتمع الاسلامي، بل ان الامام يخلق طرقاً اخرىٰ لممارسة حقه السياسي.

أن هٰذه العلاقة بين الامام والامة لم تكن علىٰ مستوىً واحدٍ في جميع الاحوال وإنما تختلف بحسب الظروف السياسية. فمثلاً، في عصر الامام السجاد عليه السلام لم يستطع الامام ان يمارس امامته في المجتمع الاسلامي، الاّ ضمن أُطُرٍ محدودة، ولكنه عليه السلام ملأ جوانب اخرىٰ ضرورية لقيادة الحركة السياسية والاجتماعية.

وهٰذا لا يعني أن الامام ترك العمل السياسي وقيادة الامة، وإنما يعنّي أن الامام مارس دوره الرباني ضمن صيغ تخدم الرسالة علىٰ المسار

الاستراتيجي، ولنسجل حديثين يوضحان أن الامام لايعمل للمدىٰ القريب فقط، بل يضع في حسابه المدىٰ البعيد أيضاً:

عن «علي بن يقطين قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام: الشيعة تربّىٰ بالاماني منذ مئتي سنة. قال: وقال يقطين[1] لابنه علي بن يقطين: مابالنا قيل لنا فكان، وقيل لكم فلم يكن؟ قال: فقال له علي: إن الذي قيل لنا ولكم كان من مخرج واحد، غير أن أمركم حضر، فأُعطيتم محضه، فكان كما قيل لكم. وأن أمرنا لم يحضر فعلّلنا بالاماني. فلو قيل لنا ان هٰذا الامر لايكون الا الىٰ مئتي سنة، أو ثلاثمئة سنة لقست القلوب، ولرجع عامة الناس عن الإسلام ولكن قالوا ما أسرعه وما أقربه، تألفاً لقلوب الناس، وتقريباً للفرج»[2].

وعن «مهزم عن ابي عبد الله عليه السلام قال: (اي مهزم) ذكرنا عنده ملوك آل فلان، فقال: إنما هلك الناس من استعجالهم لهٰذا الامر. إن الله لايعجل لعجلة العباد. ان لهٰذا الامر غاية ينتهي اليها، فلو قد بلغوها لم يستقدموا ساعة ولم يستأخروا»[3].

إن مسألة السلطة لاتشكل عقبة في طريق الامام في قيادة المجتمع الاسلامي. إنما هي تؤثر في سعة تلك القيادة، ففي الظروف المضطربة يتقلص نشاط الامام، ليصل الىٰ حدود معينة من النشاط السياسي. ولكنه

---

(١) يقطين هٰذا أحد كبار الحركة العباسية، وهو والد علي بن يقطين الامامي المشهور.

(٢) الكافي/ ج١/ ص٣٦٩/ ح٦ و٧.

(٣) الكافي/ ج١/ ص٣٦٩/ ح٦ و٧.

لايصل الىٰ درجة الانفصال والعزلة التامة؛ لأن ذلك مخالف المفهوم الامامة.

وفي ظروف الانفتاح يمارس الامام نشاطه السياسي بشكل واسع وربما ملحوظ. وهٰذا النشاط والسعي لاينفصل عن العمل لاستلام السلطة، اذ ليس استلام السلطة عملاً غير مرضي عند الأئمة، بل هو مطلوب من أجل تحقيق حاكمية الله. ولكن نوعية العلاقة بين الامام والامة والمنهج السياسي الذي يتبعه الحاكم الفاسق وطريقته في القيادة هي التي تقرر حدود نشاط الامام لاستلام السلطة.

رابعاً: توسيع دائرة الولاء للامام

وكما يحرص الامام علىٰ قيادة الامة باتجاه الاهداف الاسلامية، يحرص ايضاً علىٰ هداية اكبر عدد من ابناء المجتمع الاسلامي الىٰ الحق والارتباط بالامام من أهل البيت بوصفه أمين الله علىٰ دينه.

اذ لاتجد «علماً صحيحاً، الاّ شيئاً خرج من عندنا اهل البيت»[١].

كما يقول الامام الباقر عليه السلام للحكم ولسلمة بن كهيل:

و«ليس عند أحد من الناس حق ولاصواب، ولاأحد من الناس يقضي بقضاء حق الاّ ماخرج منا أهل البيت. واذا تشعبت بهم الامور كان الخطأ منهم والصواب من علي عليه السلام»[٢]. كما يقول أبو جعفر عليه السلام.

واذا كان الامر كذلك حقّ للامام أن يوسّع دائرة ارشاده لتشمل سائر افراد المجتمع، بل وتصل الىٰ أقرب المقربين من السلطة.

(١) الكافي/ ج١/ ص٣٩٩.

(٢) الكافي/ ج١/ ص٣٩٩.

القسم الثاني

موقف الامام الصادق عليه السلام
من ثورة زيد بن علي (رض)



نتناول في هٰذا القسم موقف زيد بن علي من الامامين الباقر ﷺ والصادق ﷺ، وتحليل موقف الامامين ﷺ من زيد (رض) فيقع الحديث ضمن بحثين:

البحث الاول: موقف زيد بن علي (رض) من الامامين الباقر والصادق ﷺ

لقد ترعرع زيد بن علي في منزل الامام الباقر، وتحت اشرافه بعد شهادة الامام السجاد ﷺ. حيث كان زيد صغيراً لم يبلغ الحلم. وكانت العلاقة بين زيد وبين الامام الصادق علاقة وثيقة وليست بمستوىٰ العلاقة بين الإمام الصادق وبين محمد بن عبد الله حيث طلب الأخير البيعة من الإمام الصادق فرفض الامام ذلك، واراد محمد ان يسجن الامام الصادق علىٰ بعض الروايات[1].

الاّ إن متانة العلاقة بين زيد والامامين بمجردها لاتكشف عن أنه يدين

(١) راجع الكافي/ ج١/ ص١٦، وذكر المنازعة بين الامام ومحمد تجده في ص٣٦٣.

بأمامتهما. من هنا لابد ان نبحث عن حقيقة موقف زيد من إمامة الباقر والصادق ﷺ فهل يؤمن بها؟.

بين يدي الباحث فرضان هما:

الفرض الاول: عدم قول زيد بامامة الباقر والصادق ﷺ ويمكن الاستشهاد لهٰذا الفرض بالمؤشرات التالية:

اولاً: المجادلة والنقاش الساخن الذي أجراه زيد مع الامام الباقر ﷺ الذي قال فيه زيد للامام: «ليس الامام منا من جلس في بيته، وارخىٰ بستره، وثبّط عن الجهاد، ولكن الامام منا من منع حوزته، وجاهد في سبيل الله حق جهاده، ودفع عن رعيته، وذب عن حريمه»[1].

ثانياً: ان زيداً رفض نصيحة الامام الصادق حين نصحهُ بعدم الخروج، وهٰذا يعني عدم اعتقاده بامامته، والاّ عمل بنصيحته ﷺ.

ثالثاً: الرواية التي رواها محمد بن النعمان مؤمن الطاق في حواره، مع زيد، حين طلب منه الخروج معه فرفض محمد بن النعمان ذلك، وصرَّح له بعدم إمامته (اي امامة زيد)، وأشار الىٰ إمامة الباقر ﷺ فلم يقبل زيد منه ذلك، حيث قال له:

«يا أبا جعفر، كنت أجلسُ مع أبي علىٰ الخوان، فيلقمني البضعة السمينة، ويبرد لي اللقمة الحارة حتىٰ تبرد شفقةً علي، ولم يشفق علي من حر النار، اذ أخبرك بالدين (أي الامامة) ولم يخبرني به؟» فقال له مؤمن الطاق: من شفقته عليك من حر النار «لم يخبرك خاف عليك ان لاتقبله

(١) الكافي/ ج١/ ص٣٥٧.

فتدخل النار، واخبرني انا. فإن قبلت نجوت وإن لم أقبل لم يبالِ أن أدخل النار ...»[١].

فقد صرح زيد في هٰذه الرواية أن أباه (الامام زين العابدين) لم يخبره بإمامة أخيه الباقر، فضلاً عن الامام الصادق عليه السلام.

رابعاً: رواية اخرىٰ هي:

«كان سليمان بن خالد خرج مع زيد بن علي حين خرج. قال: فقال له رجل، ونحن وقوف في ناحية وزيد واقف في ناحية: ماتقول في زيد هو خير أم جعفر؟ قال سليمان: قلت: والله لَيَوْمٌ من جعفر خير من زيد ايام الدنيا. قال: فحرك دابته واتىٰ زيداً، وقص عليه القصة. فمضيتُ نحوه فانتهيت الىٰ زيد وهو يقول:

جعفر إمامنا في الحلال والحرام»[٢].

الاّ ان هٰذه الوجوه جميعاً غير تامة اذ:

الوجه الاول يرد عليه:

إن حديث زيد الذي تقدم يمكن فهمه بشكل آخر. إذ ان منشأ اعتبار هٰذه الرواية من ادلة اثبات عدم اعتقاد زيد بإمامة الباقر، هو ما يفهم من الرواية من أن زيداً يريد ان يؤكد مبدأ، وهو ان حق الامامة لم يثبت بالنص، وإنما يثبت بالتصدي والخروج ومواجهة ولاة الجور. وحينئذٍ يقال ان الامام الباقر لم يخرج لاثبات عدم امامته.

---

(١) الكافي/ ج١/ ص١٧٤.

(٢) معجم رجال الحديث/ ج٧/ ص٣٤٧.

ولكن عند التأمل في حديث زيد، يمكن استفادة معنىً آخر حاصله أن الامام من أهل البيت هو الذي يمارس ولايته، ويعلن مواقفه السياسية ظاهراً ومن ثَمَّ ليس هنالك موجب للتكتم، والتقية، والعمل ضمن دائرة ضيقة.

وعلىٰ هٰذا كان نقاش زيد حول نوعية تحرك الامام، فهو يرىٰ ان علىٰ الامام ان يجاهر بالعداء للحكام، ان يرفع السلاح. وهٰذا بالطبع لاينافي اعتقاد زيد بامامة الباقر عليه السلام[1].

وزيد انما يدعو هنا الامام ليتحرك ضد النظام تحركاً مسلحاً، في ضوء حساباته الشخصية، وعلىٰ أساس علاقاته مع أهل الكوفة

فهو يرىٰ الأولوية للعمل العسكري، حتىٰ لو أدىٰ ذلك العمل الىٰ شهادة الامام، كما تحرك الامام الحسين عليه السلام واستشهد في واقعة كربلاء. وعلىٰ هٰذا الأساس فإن الرواية لاتصلح شاهداً لإثبات عدم اعتقاد زيد بإمامة الباقر عليه السلام.

وبعبارة مختصرة ان الرواية تدل علىٰ ان زيداً يرىٰ لزوم التحرك العسكري علىٰ الامام لا انه يرىٰ ان العمل العسكري علامة علىٰ الامامة.

---

(١) ويرد علىٰ هٰذا الوجه: ان الامام هو اعرف بتكليفه الشرعي من غيره، فاذا كان زيد يعتقد بأمامة الباقر، فلا موجب للنقاش معه في حدود وظيفة الامام لانه أعرف بهامنه.
مع ان الرواية تدل علىٰ سوء الادب مع الامام، مما يشكك في صدورها، لان اساءة الادب مع الامام ايضاً تنافي اتصاف زيد بالعلم والتقوىٰ، كما ان هٰذه الرواية لو صحت لدلت علىٰ عدم ايمان زيد بآبائه أئمةً شرعيين، لان الباقر والسجاد عليهما السلام لم يقوما بالسيف.

اما الوجه الثاني: فإنه يمكن أن يقال ان الامام الصادق عليه السلام حين نصحهُ لم يأمره بعدم الخروج، إنما أرادَ كشف مصير حركته له لكي يكون علىٰ بصيرة من أمرهِ، ولايفاجأ بموقف أهل الكوفة، والاّ فإن أصل الخروج أمر يقبله الامام، اذا حدث في وقتهِ، وبشروطهِ المناسبة كما تقدم اثبات ذلك.

فعدم قبول نصيحة الامام يعني قبوله بالمصير الذي سوف يؤول اليه، نتيجة لفشل ثورته، وليس في ذلك خروج عن طاعة الإمام إذ إن الامام لم يأمره بعدم الخروج، وإنما نصحهُ بعدم الخروج. وزيد لم يقبل النصيحة لانه قبلَ نتائج الخروج التي كشفها له الامام، ولم يعصِ امراً للامام[1].

أما الوجه الثالث: فيرد عليه أن

«هٰذه الرواية، وإن كانت بحسب السند قوية، الاّ أن دلالتها علىٰ قدح زيد (وعدم اعتقاده بإمامة الباقر والصادق عليهما السلام) تتوقف علىٰ عدم اعتراف زيد بوجود حجة غيره، وأنه لو كان لأخبرهُ أبوه بذلك. وقد ناظره الاحول (مؤمن الطاق) في ذلك، وذكر ان عدم إخبار أبيه إياه بذلك كان شفقة منه عليه، وهٰذه فاسدة جزماً. وبيان ذلك ان الاحول كان من الفضلاء المبرزين، وكان عارفاً بمقام الامامة ومزاياها، فكيف يمكن ان ينسب الىٰ السجاد عليه السلام أنه لم يخبر زيداً بالامامة بعده، شفقةً منه عليه؟ وهل يجوز إخفاء الامامة من جهة الشفقه النسبية؟ علىٰ أن زيداً، والعياذ بالله، لو كان بحيث لو أخبره السجاد عليه السلام الامام بعده لم يقبله فهو كان من المعاندين، فكيف يمكن ان

(١) وان شئت عبر: ان أمر الإمام زيداً أمر إرشادي ومن الواضح ان مخالفة الأمر الإرشادي ليس فيها معصية.

يكون مع ذلك مورداً لشفقة الامام؟

فالصحيح أن الرواية غير ناظرة الىٰ ذلك، بل المراد بها ان زيداً حيث طلب من الاحول الخروج معه، وهو كان من المعاريف، وكان في خروجه معه تقوية لأمر زيد، اعتذر الأحول عن ذلك بأن الخروج لايكون الا مع الامام، والا فالخارج يكون هالكاً، والمتخلف ناجياً. وحينئذ لم يتمكن زيد من جوابه بأنه مأذون من قبل الامام، وأن خروجه بأذنه، لأنه كان من الاسرار التي لايجوز له كشفها أجابه بنحو آخر وهو أنه عارف بوظيفة وأحكام دينه، واستدل عليه بأنه كيف يمكن ان يخبرك أبي بمعالم الدين، ولايخبرني بها مع كثرة شفقته علي؟ وأشارَ بذلك الىٰ أنه لايرتكب شيئاً لايجوز له، الاّ أنه لم يصرح بالاذن خوفاً من الانتشار، وتوجه الخطر الىٰ الامام عليه السلام. ولكن الاحول لم يفهم مراد زيد فقال: عدم إخباره كان من شفقته عليك واراد بذلك أنه لايجوز الخروج بدون إذن الامام، وقد أخبرني بذلك السجاد ولم يخبرك بذلك شفقةً منه عليك، فتحيَّرَ زيد في الجواب فقال: «والله لئن قلت ذلك لقد حدثني صاحبك بالمدينة اني أُقتلُ وأُصلَبُ بالكناسة» وأراد بذلك بيان ان خروجه ليس لطلب الرئاسة والزعامة، بل هو يعلم بأنه يقتل ويصلب. فخروجه لامر لايريد بيانه.

هٰذا وان الاحول لم يصل الىٰ ما اراده زيد، فحَجَّ وحدث ابا عبد الله عليه السلام بالقصة. وأما قول ابي عبد الله عليه السلام: «أخذته من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، ومن فوق رأسه، ومن تحت قدميه، ولم تترك له مسلكاً يسلكه» فهو لايدل علىٰ قدح زيد، وانما يدل علىٰ حسن

مناظرة الاحول في عدم إجابته زيداً في الخروج معه، حيث انه لم يكن مأذوناً في ذلك من قبل الامام عليه السلام. والمفروض أنه لم يكن عالماً بأن زيداً كان مأذوناً من قبله.

ويؤكد ما ذكرناه ما في عدة من الروايات من اعتراف زيد بامامة ائمة الهدى عليهم السلام»[1].

اما الوجه الرابع فيرد عليه:

أن «احتمال ان يكون المقصود بذلك (أي بحديث زيد ان جعفر بن محمد امامنا في الحلال والحرام) انه هو امامنا في مثل الصلاة والحرمة شرب النبيذ مثلاً، لا في الجهاد والقيادة الاجتماعية. خلاف الظاهر. فإن استعمال كلمة الحلال والحرام وقتئذ يشملان كل مساحة الحياة، وان إمام الحلال والحرام له قيادة العالم أجمع»[2].

الفرض الثاني: اعتقاد زيد بإمامة الباقر والصادق عليهما السلام ويدل على صحة هذا الفرض الكثير من الشواهد، والدلائل التالية:

اولاً: قول زيد (رض): «جعفر إمامنا في الحلال والحرام»، وقوله: «من أراد الجهاد فإليّ، ومن اراد العلم فإلى ابن اخي» وهذا الكلام يدل على اعتقاده بإمامة الصادق، اذ لايمكن الفصل بين العلم، وبين القيادة السياسية (او قل الامامة). فمعنى كلامه: «من اراد الجهاد فإليّ» أي من اراد حمل السلاح، فلينضم إليّ في جهاد الطاغوت، ومنه يتضح اعتقاده بإمامة

(١) معجم رجال الحديث/ ج٧/ ص٣٥٥.

(٢) الكفاح المسلح في الإسلام/ ص٩٥.

الباقر عليه السلام اذ ينطبق كلا الحديثين علىٰ الامام الباقر عليه السلام بلا ريب.

ثانياً: «عن عمرو بن خالد، قال زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام: في كل زمان رجل منا اهل البيت يحتج الله به علىٰ خلقه، وحجة زماننا ابن أخي جعفر بن محمد. لايضل من تبعه، ولايهتدي من خالفه»[1]

وتوجد روايات تصرح بأن زيداً لم يَدَّعِ الامامة لنفسه كما في الرواية التالية:

ثالثاً: «عن المتوكل بن هارون في حديث، قلت ليحيىٰ بن زيد: يا ابن رسول الله، إن أباك قام بدعوىٰ الامامة، وخرج مجاهداً في سبيل الله، وقد جاء عن رسول صلى الله عليه وآله أنه ذم من خرج مدعياً للامامة كاذباً. فقال: مه يا أبا عبد الله، إن أبي أعقل من أن يدعي ماليس له بحق، وإنما قال: أدعوكم الىٰ الرضا من آل محمد»[2].

رابعاً: صيغة البيعة حيث قال: تبايعونني علىٰ الرضا من آل محمد» ولم يبايع علىٰ أساس أنه الامام، فهٰذا الحديث يدل علىٰ انه لم يدَّعِ الامامة وحيثُ ان منصب الامامة واجب فلا محالة يثبت اعتقاده بإمامة الصادق عليه السلام. ومن قبله الامام الباقر عليه السلام.

---

(١) ابو الحسيْن زيد الشهيد/ ص٣٦.

(٢) المصدر نفسه/ ص٣٨.

البحث الثاني: موقف الامام الصادق من ثورة زيد بن علي (رض):

بعد ان درسنا موقف زيد من الامامين الباقر والصادق عليهما السلام علىٰ المستوىٰ النظري، جاء دور بحث موقف الامام الصادق عليه السلام من ثورة زيد (رض).

لقد استعرضنا سابقاً موقف الإمام من مسألة السلطة، وتقدم أن الإمام يستهدف من جميع نشاطاته السياسية تحقيق حاكمية الله، وتحقق هٰذه الحاكمية يتم بوجود طرفين: الإمام الحجة، والأُمة التي تبدي طاعتها للإمام.

وهٰذا لا يعني أن الإمام يُعفىٰ عن مسؤولياته الشرعية، إذا تسلط علىٰ الأُمة ظالم باغ، يحكم بغير ما أنزل الله كما لايعني أن عليه رفع السلاح علىٰ أي تقدير لاسترجاع الحق الشرعي، وإنما يمارس وظيفته الربانيّة في ضوء معطيات تفاعل الأُمة مع الرسالة، ومع الإمام، وعلاقتها مع الحاكم.

ففي الظروف التي تكون الأُمة جاهلة بمسؤولياتها غير عارفة بالمبادئ التي تتصل بالحكم والقيادة، فإن الإمام يوجه اهتمامه لإشباع هٰذا الجانب لخلق الوعي المبدئي، والسياسي المناهض للسلطان الظالم.

وحين يرىٰ أن الأُمة تعلن ولاءها للإمام، وتسعىٰ لتحكيم القيم الإسلامية، وتبذل جهدها في هٰذا الأمر، فإن الإمام يولي اهتمامه للإطاحة بالطاغوت، وتولي السلطة.

وهكذا في جميع الأدوار يشخّص الإمام حاجة المرحلة، ويمارس وظيفته الشرعية علىٰ وفق متطلباتها.

فمسار الإمام السياسي يتبع من حيثُ حجمُهُ، ونوعيته الحقائق السياسية والاجتماعية التي تكتنف الإمام.

فإذا كان الظرف السياسي لايسمح للإمام برفع السلاح، كما حصل للإمام الحسن، أو للإمام الصادق عليه السلام، فإن ذلك لايمنع من اعطاء الإذن لمن يثق بهم ويرىٰ قدرتهم علىٰ إضعاف، أو إسقاط السلطة الظالمة، وهٰذا بالضبط ما فعله الإمام الصادق عليه السلام مع زيد حيث أن الإمام الصادق عليه السلام كان في ظرف خاص يستوجب بناء الأُسُس، والأُصول التشريعية وبيان المفاهيم الإسلامية الأصيلة، لمواجهة حالة الفراغ والخلط الفكري، الذي لف الأُمة. وهٰذه الأُسس تشكل أرضية متينة للبناء السياسي للأُمة، علىٰ وفق مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وبعبارة أُخرىٰ: أن جهود الإمام تلك في الجوانب الفكرية، والتشريعية تتصل بالحياة السياسية للأُمة. وقد تقدم بعض الأحاديث التي بينت شدة نقد المعصوم للتعاون مع السلطان، كحديث الإمام الصادق عليه السلام لعذافر، وحديث الإمام الكاظم عليه السلام لصفوان الجمّال.

ولكن مثل هٰذا الظرف لايمنع من منح الإذن لزيد بن علي، لحمل السلاح، وممارسة عمل عسكري ضد الحكم الأموي والذي يدل علىٰ ذلك مايلي:

١ـ قول الإمام الرضا عليه السلام للمأمون: «لاتقس أخي زيداً إلىٰ زيد بن علي؛ فإنه كان من علماء آل محمد صلى الله عليه وآله. غضب لله عزّ وجلّ فجاهد أعداءه حتىٰ قُتل في سبيله. ولقد حدّثني أبي موسىٰ بن جعفر عليه السلام،

إنه سمع أباه جعفر بن محمد بن علي عليه السلام يقول: رحم الله عمي زيداً، إنه دعا إلىٰ الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله ولو ظفر لوفىٰ بما دعا إليه. ولقد أستشارني في خروجه فقلت له: يا عم، إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنكَ. فلما ولىٰ قال جعفر بن محمد عليه السلام: ويلٌ لمن سمع واعيته فلم يجبه»[1].

وواضحٌ من هٰذه الرواية أن الإمام الصادق عليه السلام أذِنَ لزيد في الخروج ولكن زيداً أخفىٰ ذلك خوفاً علىٰ الإمام من بطش هشام، وذلك لأن الإمام يعلم بأنه سوف تترتب نتائج إيجابية علىٰ ثورته كتحديد الصورة الكاملة لموقف أهل البيت عليهم السلام من الأوضاع القائمة وتنبيه الأمة علىٰ حجم الفساد والابتعاد عن تعاليم الإسلام.

وكما أعطىٰ الإمام الصادق عليه السلام الإجازة لزيد بالخروج فإنه عليه السلام أعطىٰ إجازة عامة لشيعته للمساهمة في ثورة زيد.

ولاريب أن ذلك الإذن ليس بمعنىٰ الدعوة العلنية للمشاركة مع زيد في خروجه، وإنما هي تلميحات أولية قبل الثورة، ووصف الثوّار الذين خرجوا معه ونالوا درجة الشهادة بأجمل الأوصاف. فقد قال الإمام الصادق عليه السلام لمّا خرج زيد من عنده: «الويل لمن سمع واعيته ولم يجبهُ».

وهٰذه عبارة واضحة في لوم من يحضر الحادثة ويتخلَّف عن نصرة زيد.

وقد دخل عمرو بن القاسم علىٰ الإمام الصادق عليه السلام، وفي حضرته مجموعة من الشيعة الذين رفضوا زيداً. فقال عمرو للامام وهو يشير الىٰ

---

(١) عيون أخبار الرضا / باب ٢٥/ ح١.

الرافضة: «إن هٰؤلاء يبرأوْن من عمكَ زيد. قال: يبرأون من عمي زيد؟! قلت: نعم. قال برئ الله ممن يبرأ منه»[١].

وعن عبد الله بن سيابة قال: خرجنا ونحن سبعة نفر فأتينا المدينة فدخلنا علىٰ أبي عبد الله الصادق ﷺ، فقال لنا: أعندكم خبر عمي زيد؟ فقلنا: قد خرج أو هو خارج. قال: فإن أتاكم خبر فأخبروني. فمكثنا اياماً، فأتىٰ رسول بسام الصيرفي بكتاب فيه: أما بعد فإن زيد بن علي قد خرج يوم الاربعاء غرة صفر، فمكث الاربعاء والخميس، وقتل يوم الجمعة، وقتل معه فلان وفلان. فدخلنا علىٰ الصادق ﷺ فدفعنا اليه الكتاب، فقرأ، وبكىٰ ثم قال:

إنا لله وإنا إليه راجعون. عند الله تعالىٰ أحتسب عمي، إنه كان نعم العم. إن عمي كان رجلاً لدنيانا وآخرتنا. مضىٰ والله عمي شهيداً كشهداء استشهدوا مع رسول الله ﷺ وعلي والحسن والحسين صوات الله عليهم»[٢].

وعن الفضل بن يسار:

«... فدخلت علىٰ أبي عبد الله ﷺ فقلت في نفسي: والله لا أخبرنه[٣] بقتل زيد بن علي فيجزع عليه. فلما دخلت عليه قال: ما فعل عمي زيد؟ فخنقتني العبرة، فقال: قتلوه؟! قلت: أي والله قتلوه. قال: فصلبوه؟! قلت: إي والله فصلبوه. قال: فأقبل يبكي ودموعه تنحدر عن جانبي خده

(١) انساب الاشراف ج٣/ هامش١ صفحة (٢٢٩).

(٢)عيون أخبار الرضا/ باب ٢٥/ ح٦.

(٣)الموجود في بعض النسخ (لأخبرنه) الاّ ان سياق الكلام لايساعد علىٰ ذلك والصحيح ما اثبتناه.

كأنها الجمان، ثم قال: يافضيل، شهدتَ مع عمي زيد قتال أهل الشام؟ قلت: نعْم. فقال: فكم قتلت منهم؟ قلت: ستة. قال: فلعلكَ شاكٌّ في دمائهم. قلت: لوكنت شاكاً ما قتلتهم فسمعته وهو يقول: أشركني الله في تلك الدماء. مامضىٰ والله زيد عمي واصحابه إلا شهداء مثل مامضىٰ عليه علي بن ابي طالب عليه السلام وأصحابه»[1].

و«عن حمزة بن حمران قال: دخلت الىٰ الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقال لي: ياحمزة، من أين أقبلت، قلت له: من الكوفة. قال: فبكى عليه السلام حتىٰ بلت دموعه لحيته. فقلت له: يا ابن رسول الله، مالكَ اكثرتَ البكاء؟ فقال: ذكرت عمي زيداً وماصُنع به فبكيتُ، فقلت له: وما الذي ذكرت منه؟ فقال: ذكرت مقتله وقد أصاب جبينه سهم فجاءه ابنه ...» الىٰ آخر الحديث[2].

وجاء في إرشاد المفيد:

«ولما قتل (زيد) بلغ ذلك من ابي عبد الله الصادق عليه السلام كل مبلغ وحزن له حزناً عظيماً، حتىٰ بان عليه، وفرَّق من ماله في عيال من أصيب معه من أصحابه الف دينار. روىٰ ذلك ابو خالد الواسطي قال: سلم الي أبو عبدالله عليه السلام الف دينار، وامرني أن أقسمها في عيال من أصيب مع زيد. فأصاب عيال عبد الله بن الزبير أخي فضيل الرسّان منها أربع دنانير»[3].

---

(١) عيون آخبار الرضا/ باب٢٥ / ص٢٥٢/ح٧.

(٢) الامالي/ ص٣٢١ /ح٣.

(٣) الارشاد/ ص٢٦٩.

بل نقل الطبري رواية، نقلها كذلك صاحب أنساب الاشراف، ونحن نوردها للتأييد علىٰ موقف الامام الصادق عليه السلام: فقد جاء في تاريخ الطبري: «وكانت طائفة منهم (أي من الذين رفضوا البيعة لزيد) قبل خروج زيد مرُّوا الىٰ جعفر بن محمد بن علي، فقالوا لهُ: إن زيداً بن علي فينا يبايَع، أفَتَرَىٰ لنا ان نبايعهُ؟ فقال لهم: نعم بايعوه، فهو والله افضلنا وسيدنا وخيرنا. فجاؤوا فكتموا ماأمرهم به»[1].

ومجموع هٰذه الروايات تكشف بوضوح ان الامام لم يمنع زيداً من الخروج، وتابع أخبار الثورة، وتألم كثيراً للنتيجة التي وصلت اليها، وقدَّم العون لأسر الشهداء، فماذا تعني كل هٰذه المواقف؟!.

لاشك في أنها تدل علىٰ ان الامام الصادق عليه السلام كان الغائب الحاضر في ثورة زيد.

نوري حاتم

رمضان المبارك /١٤٠٧

قم المقدسة

---

(١) الطبري/ ج٨ /ص٢٧٢. ولكن صاحب انساب الاشراف في الجزء الثالث ص ٢٤٠ سمىٰ المسؤول في الرواية «محمد بن علي الباقر»، في حين ان الطبري نقل انه «الامام جعفر بن محمد» وهٰذا مانرجحهُ، لاننا نستبعد ان يكون زيد قد اخذ البيعة في حياة الإمام محمد الباقر عليه السلام، ونستبعد ان يخرج هٰذا اللون من الحديث عن الامام الباقر عليه السلام، بل وصدوره عن الإمام الصادق إلاّ انه علىٰ تقدير صدوره يريد منه مجرد التشجيع علىٰ مشاركته في الثورة لاثبات الأفضلية له كما هو ظاهر الحديث.

مصادر الكتاب

١ـ القرآن الكريم

٢ـ اصول الكافي — للشيخ الكليني

٣ـ اختيار معرفة الرجال — للكشي

٤ـ أنساب الأشراف — للبلاذري

٥ـ أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف — للشهيد الصدر

٦ـ أمالي الصدوق — للشيخ الصدوق

٧ـ تاريخ اليعقوبي — أحمد بن يعقوب

٨ـ تاريخ الأمم والملوك — للطبري

٩ـ تاريخ الإسلام — الدكتور حسن إبراهيم حسن

١٠ـ تذكرة الخواص — لابن الجوزي

١١ـ تلخيص الشافي — للشيخ الطوسي

١٢ـ ثورة الحسين — الشيخ محمد مهدي شمس الدين

١٣ـ ثورة زيد — ناجي حسن

١٤ـ جهاد الشيعة — الدكتورة سميرة مختار الليثي

١٥ـ جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام — للشيخ النجفي

١٦ـ حياة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام — الشيخ باقر شريف القرشي
١٧ـ رجال الطوسي — للشيخ الطوسي
١٨ـ زيد الشهيد — لحسن الأمين
١٩ـ زيد بن علي بن الحسين — علي محمد دخيل
٢٠ـ شرح الباب الحادي عشر — للعلامة الحلي
٢١ـ شرح نهج البلاغة — لابن ابي الحديد
٢٢ـ علي ومناوئوه — الدكتور نوري جعفر
٢٣ـ عيون أخبار الرضا — للشيخ الصدوق
٢٤ـ قرب الاسناد — للحميري
٢٥ـ كامل الزيارات — لابن قولويه
٢٦ـ الكامل في التاريخ — لابن اثير
٢٧ـ الكفاح المسلح في الإسلام — للسيد كاظم الحائري
٢٨ـ الارشاد — للمفيد
٢٩ـ العراق في العصر الأموي — ثابت اسماعيل الراوي
٣٠ـ الاحكام السلطانية — ابو الحسن علي بن محمد الماوردي
٣١ـ النزاع بين افراد البيت الأموي — الدكتور رياض عيسىٰ
٣٢ـ الامامة والسياسة — لابن قتيبة
٣٣ـ معجم رجال الحديث — للسيد الخوئي
٣٤ـ معاوية بن أبي سفيان — عباس محمود العقاد
٣٥ـ مقاتل الطالبيين — أبو الفرج الاصفهاني
٣٦ـ مجمع الرجال — للقهبائي
٣٧ـ وسائل الشيعة — للحر العاملي

فهرس المحتويات

الفصل الثالث

القسم الأول

القسم الثاني

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

القسم الاول

القسم الثاني


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)





